

# الف ليلة وليلة

حَسَنُ جُوهَيْر

مُحَمَّدُ أَحْمَدُ بَرَّاق

أَمِينُ أَحْمَدُ الْعَطَّار

٦





الهيئة العامة لكتبة الإسكندرية	
رقم التسجيل	٢٣٤١٥
رقم التسجيل	

الف ليليلة

الجزء السادس

# الأحذب والخياط

١٢/١٣٨٠

٣٩٨.٧٢

٢٠٢

٢٠٦ كتيه

محمد أحمد براق

حسين جوهير

أمين أحمد العطار

الطبعة الثانية



General Organization of the Alexandria Library (GOAL) دار المعارف

Bibliotheca Alexandrina

---

رسوم: الفنانة النمساوية ستيلا يونكرز

---

---

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

---

## الجزء السادس

---

صفحة

- نعمة وجاريته نُعم ..... ٥
  - نورالدين وأنيس الجليس ..... ٤٧
  - الأحذب والخياط ..... ٧٩
  - خليفة الصياد مع القروء ..... ١١٦
  - التاجر والعفريت ..... ١٥١
-





## نِعْمَةٌ وَجَارِيَّتُهُ نِعْمٌ

( ١ )

ذكروا أَنَّهُ كَانَ بِمَدِينَةِ الْكَوْفَةِ رَجُلٌ مِنْ وَجْهِ أَهْلِهَا، يُقَالُ لَهُ  
الرَّيِّعُ بْنُ حَاتِمٍ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ، مَرْفَهُ الْحَالِ؛ رَزَقَهُ اللَّهُ وَلَدًا  
فَسَمَّاهُ؛ نِعْمَةَ اللَّهِ.

وَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي سَوَاقِ النَّخَّاسِينَ، يَجْلِسُ عَلَى دِكَّةٍ أَمَامَ  
دُكَّانٍ — إِذْ رَأَى جَارِيَّةً تَمْزُضُ لِلْبَيْعِ، وَعَلَى يَدِهَا طِفْلَةٌ صَغِيرَةٌ  
بَدِيعَةُ الْحَسَنِ، بَارِعَةُ الْجَمَالِ، فَأَشَارَ الرَّيِّعُ إِلَى النَّخَّاسِ، وَقَالَ لَهُ:

بكم هذه الجارية وابنتها ؟

فقال : بخمسين ديناراً .

قال الربيعُ حرّاً وثيقةَ البيع ، وخُذْ منها ، وأعطِهِ سيدها .

ثم دفع الربيعُ للنخاسِ ثمنَ الجاريةِ ، وأعطاهُ أَجْرَ دِلَاتِهِ ، وتسَلَّمَ الجاريةَ وابنتها ، وعادَ إلى بيته .

رَأَتْ ابْنَةُ عَمِّهِ الجاريةَ ، فقالت له :

يا بنَ العمِّ ، ما هذه الجاريةُ ؟

قال لها : رأيتها في سوقِ النخاسين ، فأعجبَتني صغيرتها التي تحمّلها ،

فأشتريتها من أَجْلِها ، واعلمِي يا ابْنَةُ عَمِّي أَنَّ هذه الطفلةَ الصغيرةَ إِذَا كَبُرَتْ واستدارتْ فَلَنْ تجدى بين بناتِ العرب والعجم من تشبهها جمالاً وحُسناً .

فقالت له ابْنَةُ عَمِّهِ : نَعَمْ ما فَعَلْتَ .

ثم التفتَتْ إلى الجاريةِ ، وقالت لها : ما اسمُكِ ؟

فقالت لها : يا سيدتي اسمي توفيقُ .

قالت : وما اسمُ ابْنَتِكَ ؟

أجابت : اسمها سُمْدَى .

فقالت : سَعِدْتَ ، وَسَعِدَ من اشْتَرَاكِ .

ثم أَدارت وجهها إلى ابْنِ عَمِّها ، وقالت :

يا بنَ عَمِّي بماذا تسمِّيها ؟



قال : أَسَمِهَا الاسمَ الذى تَخْتَارِينَ أَنْتِ .

قالت : نَسَمِّيْهَا : نَعْمَ .

قال الربيعُ ، نَعْمَ ما فَكَّرْتِ ، وَنَعْمَ ما سَمَّيْتِ ، وَنَعْمَ مَنْ سَمَّيْتِ .

تَرَبَّتْ الصَّغِيرَةُ نَعْمَ مَعَ نَعْمَةَ بِنِ الرِّبِيعِ فى مَهْدٍ وَاحِدٍ ، فَهُمَا يُطْعَمَانِ مَعًا ، وَيَلْعَبَانِ مَعًا ، وَيَنَامَانِ مَعًا ، وَيَنَادِى نَعْمَةُ الصَّغِيرَةُ ، يَا أُخْتِ ، وَتَنَادِى نَعْمُ الصَّغِيرَةُ : يَا أُخْتِ .

فَالَمَّا بَلَغَا مِنَ الْعُمْرِ عَشْرَ سِنِينَ ، وَكَانَ كُلُّ مَنَّهُمَا بِالْعَمَلِ مِنَ الْحَسَنِ وَالْجَمَالِ مَا بَلَغَ — قَالَ الرِّبِيعُ لِابْنِهِ : يَا وَلَدِى لَيْسَتْ نَعْمُ أُخْتُكَ ، وَإِنَّمَا هِىَ جَارِيَتُكَ ، وَقَدْ اشْتَرَيْتُهَا لَكَ وَأَنْتِ فى الْمَهْدِ ، فَلَا تَنَادِيهَا : يَا أُخْتِ ، بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ .

قَالَ نَعْمَةُ لِأُخِيهِ ، وَقَدْ بَدَتْ عَلَيْهِ أَمَارَاتُ الْعَجَبِ وَالْأَلَمِ جَمِيعًا :  
يَا أَبِى : إِنْ لَمْ تَكُنْ نَعْمُ أُخْتِى ، فَأَنَا لَا أُحِبُّ أَنْ تَكُونَ جَارِيَتِى ، وَلَا أَنْ تَكُونَ مَمْلُوكَةً لى ، وَإِنَّمَا هِىَ رَفِيقَةُ مَهْدِى ، وَزَمِيلَةُ صِبَاى ، وَمُشَارِكَتِى فى طَعَامِى وَشَرَابِى ، وَلَهْوِى وَلَعْبِى ، ثُمَّ أَسْرَعَ إِلَى أُمِّهِ وَحَدَّثَهَا فى شَأْنِ نَعْمَ ، وَأَبْدَى لَهَا رَغْبَتَهُ فى أَنْ يَجْعَلَهَا زَوْجَةً لَهُ ، وَيُطْلِقَهَا مِنْ رِبْقَةِ الْعَبوديةِ ، فَاسْتَهْلَتْهُ أُمُّهُ قَلِيلًا ، حَتَّى تَعْرِضَ عَلَى أَبِيهِ هَذَا الْأَمْرَ .  
ثُمَّ لَمْ تَلْبَثِ الْأُمُّ أَنْ حَدَّثَتْ الْأَبَ حَدِيثَ ابْنِهَا ، وَكَانَ الْأَبُ رَجُلًا وَاسِعَ التَّفَكُّيرِ ، فَقَالَ لِزَوْجَتِهِ :

إيها جاريته ، وقد اشتريتها أوّل ما اشتريتها له وباسمه فله أن يتصرف فيها كما يشاء ، وإذا قد رغب في أن يتخذها زوجة له ، فلا حرج عليه . ولم تلبث الأم أن أبلغته رأى أبيه فسرّ له ، وذهب إليه وشكره ، وقبّل يده .

تزوجَ نعمة من نعم ، وعاشا في أرغد عيش ، وأهنا بال مدّة من الزمان ، وكانت نعم قد برعت في الفنون والعلوم ، وقرأت القرآن ، وعرفت أنواع اللعب والآلات ، وحذقت الفناء ، وصار مجلسها مجلس معرفة وتسليّة وتفكّه وطرب ، فذاع صيتها ، وشاع ذكرها شيوعاً أعلن معارفها ونواذرها الدّالة على فرط ذكائها ، وحضور بديتها ، ورجحان عقلها . وتحدّث الناس عن باهر حسننها ، ونادر جمالها . وصلت إلى الوالى أخبارُ نعم ، ووُصفَ له جمالها ودلالها وعلمها وفضلها فقال :

إنّ من تحمل مثل هذه الصفات ، لا بد أن يكون مقامها في دار الخليفة ، والله لأحتالَنّ حتى أنتزعها من سيّدتها انتزاعاً ، وإن كلفني ذلك أن أرتكب ظلماً ، ولم يتوان في تدبير حيلة للاستيلاء عليها ، وإرسالها إلى الخليفة الذي ما كان يكفُّ عن التقرب إليه والتودّد له ، وطلب الرأى عنده بما يظنُّ أنّه يرضيه عنه ، ويقرّ به منه .

فاستدعى إحدى قهرماناته ، وكانت عجزاً داهيةً ، عرّكت كثيراً من أمثال هذه الأمور ، وخدمت سيّدتها فيها بمهارة وبراعة ، مما

جعلها موضع ثقتي ، وأهلاً لسرّهِ ، فشرح لها الأمر ، وعرض عليها ما يُريده منها ، وختم كلامه لها قائلاً :

امضي الآن إلى دار الربيع واحتلي بها ، واعلمي حيلكِ البارعة المأكرة ، حتى تظفري بموافقتها على ترك سيّدها ، فنبعث بها عروساً مجلّوةً إلى خليفتنا بدمشق .

فقاتل العجوزُ وهي تبتسمُ ، وتحاولُ أن تنصّبَ من قامتها الحدياء التي تنطوي على خُبثِ الثعالب ، ومُهمّ الحيات :  
اعتمد على ربّك ، وثق أنّي بفضلِهِ مُحَقَّقةٌ ما تُريد .

وأصبحت العجوزُ مُيَمَّةً إلى دارِ نعمة بن الربيع مؤثرة بثيابِ خَشَنَةٍ من الصوف وحول رقبتها مَسْبَحةٌ طويلةٌ ، حبّاتها ألف حَبَّةٍ ، ويدها عِكَازٌ تتوكأُ عليه ، ولسانها لا يكفُ عن التسبيحِ وذكرِ الله خِداً ومكرّاً حتى وصلت إلى دار نعمة بن الربيع ، فطرقت الباب ، فخرج لها البوابُ ، واستفهمها عما تريدُ فقالت :

أنا فقيرةٌ عابدةٌ ، وأدركتني صلاة الظهر ، وأريد أن أصلي في هذا المكان المبارك .

فقال لها البواب :

يا عجوزُ ، إن هذه دارُ نعمة بن الربيع ، وليست بجامع ولا مسجدٍ .



فَقَالَتْ : أَنَا أَعْرِفُ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِجَامِعٍ وَلَا مَسْجِدٍ ، وَأَنَا قَهْرْمَانَةٌ  
 مِنْ قَصْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خَرَجْتُ لِلْعِبَادَةِ وَالسَّيَاحَةِ .  
 فَقَالَ الْبَوَابُ : أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْمَحَ لَكَ بِالْدُخُولِ .  
 وَكَثُرَ بَيْنَهُمَا الْأَخْذُ وَالرَّدُّ ، وَارْتَفَعَ الْجِدَالُ ، فَتَمَلَّقَتْ بِهِ الْعَجُوزُ  
 وَقَالَتْ :

هَلْ يَمْنَعُ مِثْلِي مِنْ دُخُولِ دَارِ نِعْمَةٍ بَنِ الرَّيِّعِ ، وَأَنَا الَّتِي لَا يُوصَدُّ  
 فِي وَجْهِ بَابِ أَمِيرٍ وَلَا كَبِيرٍ .  
 وَزَادَ بَيْنَهُمَا السَّكَّامُ ، وَعَلَا صَوْتُهَا الْمُرْتَعِشُ الْمَسْمُومُ ، فَسَمِعَهُ نِعْمَةٌ  
 نَخَرَجَ إِلَيْهَا فَوَجَدَهُمَا يَكَادَانِ يَتَشَابِكَانِ وَيَتَضَارَبَانِ ، فَضَحِكَ وَأَمْرَهَا  
 أَنْ تَتَّبِعَهُ .

فَتَبِعَتْهُ حَتَّى دَخَلَ بِهَا إِلَى نَعْمَ ، فَلَمَّا رَأَتْ الْعَجُوزَ نَعْمَ بُهِتَتْ  
 وَتَعَجَّبَتْ مِنْ فَرْطِ جَمَالِهَا ، وَسَأَلَتْ عَلَيْهَا وَهِيَ تَقُولُ لَهَا :  
 يَا سَيِّدَتِي : أَعِنْدَكَ بِاللَّهِ الَّذِي آلَفَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَوْلَاكَ فِي الْحَسَنِ  
 وَالْجَمَالِ مُصَلًى ؟ فَأَحْضَرَتْهَا ثُمَّ انْتَصَبَتْ الْعَجُوزُ عَلَيْهَا ، وَعَكَفَتْ عَلَى الصَّلَاةِ  
 وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالِدَّاءِ إِلَى أَنْ وَلَّى النَّهَارُ .

فَقَالَتْ نَعْمٌ لِلْعَجُوزِ : يَا أُمِّي أَلَا تَرِيحِينَ قَدَمَيْكَ سَاعَةً ؟  
 فَقَالَتْ الْعَجُوزُ : يَا سَيِّدَتِي مِنْ طَلَبِ الْآخِرَةِ ، أَتَعْبَ نَفْسَهُ فِي  
 الدُّنْيَا ، وَمَنْ لَمْ يُتَّعِبْ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا ، لَمْ يَنْزِلْ مَنَازِلَ الْأَبْرَارِ فِي  
 الْآخِرَةِ .

فأحضرت لها نعم الطعام ، وقالت لها :  
كُلّي من طعامي ، وادّعي لي بالمعفّرة والرحمة .

فقالت العجوز : يا ابنتي إنني صائمةٌ ، ولم يحين موعدُ طعامي بعد .  
فكلّي أنت ، فإنك صبيّةٌ يصح لها الأكلُ والشربُ والطربُ والله  
توّابٌ رحيمٌ .

ثم جلست العجوز إلى نعم تحدثها بمثل ذلك الحديث ، وتسوق  
إليها الحكم ، وتعظّها بالمواعظ ، حتى سُرّت نعمٌ من حديثها ،  
واطمأنّت إليها .

فأما دخلت إلى زوجها قالت له :

والله يا نعمة إن هذه العجوز امرأةٌ طيبةٌ ، وأرى في وجهها آيات  
العبادة ومظاهر الصلاح فلندعُها إلى الإقامة معنا بعض الوقت .  
فقال لها :

أخلى لها مكاناً تتعبّدُ فيه ، ولا تدعي أحداً يدخلُ عليها ، ففعل الله  
سبحانه وتعالى ينفعنا ببركتها .

وقضت العجوز ليلتها تصلي وتتميد ، فلما كان الصباحُ أتت إلى  
نعمة ونعم وحيتّهما بتحية الصبح ، ثم قالت لهما :  
استودعْتُكم الله .

فقالت لها نعم : إلى أينَ تمضينَ يا أُمّي وقد أخلينا لك مكاناً  
تمتّكفين فيه للصلاة والعبادة ؟

فَقَالَتْ : أَدَامَ اللَّهُ عَزَّكَا وَمَعْرُوفَكَا ، فَإِنَّ مِنْ عَادَتِي أَنْ أَطُوفَ عَلَى الْمَسَاجِدِ وَالْأَمَاكِنِ الطَّاهِرَةِ ، وَسَوْفَ أَعُودُ إِلَيْكَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَرِيبًا ، فَوْصِيَّا الْبَوَابِ أَنْ يَكْرِِمَنِي ، وَأَلَّا يَحُولَ بَيْنِي وَبَيْنَ الدُّخُولِ إِلَيْكَا حِينَمَا أَشَاءُ ، فَوَعِدَاهَا ذَلِكَ ، وَطَلَبَا إِلَيْهَا أَنْ تَدْعُو لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ طَاهِرٍ تَعْبُدُ اللَّهَ فِيهِ . ثُمَّ سَأَلَتْ عَلَيْهِمَا . وَانصَرَفَتْ إِلَى سَيِّدِهَا الْوَالِي ، فَلَمَّا رَأَاهَا بَادَرَهَا بِالسُّؤَالِ :

مَا وَرَاءَئِذَا ؟

فَقَالَتْ : لَقَدْ اخْتَلْتُ حَتَّى دَخَلْتُ مَنْزِلَهَا وَنِلْتُ ثِقَتَهَا ، وَقَدْ رَأَيْتَهَا لَمْ يُؤَلِّدْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَجَلَ مِنْهَا .

قَالَ : إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَصِلِي إِلَى مَا أُرِيدُ ، فَسَوْفَ يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرٍ جَنِّيلٍ .

قَالَتْ : إِنْ أُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تَهْلِي شَهْرًا .

أَجَابَ : لَقَدْ أَهْلُتُكَ شَهْرًا .

وَمَا زَالَتِ الْعَجُوزُ تَتَرَدَّدُ عَلَى دَارِ نِعْمَ وَنِعْمَةٍ ، وَهِيَ يُرْحَبَانِ بِهَا ، وَيِيَالُغَانِ فِي إِكْرَامِهَا حَتَّى اخْتَلَّتِ الْعَجُوزُ يَوْمًا بَنَمَ ، وَقَالَتْ لَهَا :

يَا ابْنَتِي : إِنِّي عِنْدَ مَا أَكُونُ فِي الْأَمَاكِنِ الطَّاهِرَةِ أَدْعُو اللَّهَ لَكَ وَأَتَمْنَى أَنْ تَكُونِي مَعِيَ فَتَشَاهِدِي الْأَمَاكِنَ الشَّرِيفَةَ ، وَتَرُورِي أَوْلِيَاءَ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، وَتَطُوفِي مَعِيَ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْبَائِسِينَ .

فَقَالَتْ نَعَمْ : وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ ، فَقَدْ مَلَأَتْ قَلْبِي إِيمَانًا

بحديثك ، وشوقتي إلى رؤية المساجد والصلوات فيها .  
 فقالت العجوز : قومي بنا في هذه الساعة ، فإنني قاصدة الآن إلى  
 مسجد مبارك .

إنني لا أستطيع أن أخرج من غير أن يأذن لي سيدي .  
 قالت العجوز : اسألي حماك في ذلك واستأذنيها أن تسمح لك  
 بالخروج معي ، فإنني لا أشك في أنها ستقبل راضية أن تخرجي معي على  
 أن أعود بك في الحفظ والصون .

فذهبت ثم إلى حماها ، وسألتها أن تأذن لها بالخروج مع العجوز  
 إلى المسجد الطاهر لتُصلي معها فيه ، وتدعو الله لها ولأُسرتها بالخير .  
 وكانت العجوز في صحبتها .

فقالت أم نعمة :

أخشى أن يغضب زوجك إذا أنت خرجت من المنزل من غير أن  
 يأذن لك ، وأنا أعرف منزلة العجوز عنده واحترامه إياها ، وثقته بتقواها  
 وإيمانه بصلاحها ، ولكن هذا شيء ، وخروجك من المنزل في غيبته  
 وبدون إذنه شيء آخر ، فقالت العجوز :

إنني لن أغيب بها ، ولن أبطي ، بل سأعودُ بها سريعاً قبل أن  
 يعود زوجها وسيدُها ، فإذا شئت ألا أعلميه أنها خرجت معي فلا  
 عليك ، وإذا شئت أن تخبريه فأنا أؤكد لك أن هذا لن يُغضبهُ ، وأنت  
 تعلمين منزلي عنده .



فسكتت أم نعمة، وخرجت بالصمت عن لا ونعم، وكان ظاهراً  
في عيني نعم أنها تُرَحَّبُ بالخروج مع العجوز، فاتخذت من صمت  
سيِّدتها دليلاً على الرضا؛ وأسَّرت إلى ملابسها ولبسَتها، وخرجت  
مع العجوز.

وهكذا أخرجت العجوز الماكرة الداهية الفتاة من دار سيِّدها  
بالحيلة، وسارت بها إلى قصر الوالى الظالم العاتى؛ فأجلستَها في إحدى  
مقاصيره، وذهبت إلى الوالى وأعلمته ما فعلت

فجاء الوالى إلى المقصورة مُسرعاً، ونظر إلى نعم من بعيدٍ فَرَأَهُ  
جَمالُها، وبهاوَّها ورَّوَّأوها؛ وهالَهُ ذلك القَدُّ المشوقُ، والقوامُ المعتدلُ  
والوجهُ الأبيضُ، والحدُّ المورَّدُ، والعينُ السَّكَّالَةُ، وفوقَ ذلك كَلَمَةُ  
الروحِ الخفيفِ، والجاذبيةُ المعجِبةُ.

فاستدعى حاجبَهُ، وأسرَّ إليه أن يُعِدَّ في الحالِ هَجِينًا لُجاريةً غاليةً  
يُوَدُّ إرسالها إلى الخليفةِ بِدمشقَ، ويأتيه بِرَدِّهِ.

ثم دخل المقصورة التي بها نعم، فلما رأتَه سترتُ وَجْهَها بِثِقَابِها،  
وهي تَتَعَجَّبُ مِنْ تَرَكِ العجوز لها في هذا المكان، وتَسْأَلُ عَنْ سِرِّ  
اختفائها، وبدأت الوسواسُ والشُّكوكُ تُساوِرُها، وأخذت تنظرُ هُنا  
وهناك لعلَّها تجدُ العجوزَ فلم ترها.

ولم تمضِ إِلَّا بِرُحْمَةٍ حَتَّى أَتَى الحَاجِبُ، وأعلنَ أَنَّهُ على أَهْبَةِ

الاستعداد، فأمره أن يذهبَ بها إلى الخليفة، فأخذها الرجلُ، وأرکها  
الهجين، وهي تبكى وتقاومُ دونَ أن تجد رحمةً أو غوثاً.

وسافر الهجينُ بنعم مصحوباً بالحرس، يقطع الفيافي، ويحتازُ  
القفار، يصعدُ الأنجاد، ويهبط الوهاد، يعتلى ربوةً، ويعبرُ سهلاً، حتى  
دخل دمشق الفيحاء وهي مقرُ الخليفة في ذلك الحين.

فلما مثل الحاجبُ بين يدي الخليفة أعطاهُ الكتاب الذي بعث به  
إليه الوالى وأخبره بحضور الجارية. فأمر الخليفة بإفرادِ مقصورةٍ لها،  
ودخل إلى نساءه وجواريه وقال لهم:

لقد اشترى لى والى الكوفة جاريةً من بنات الملوك بعشرة آلاف  
دينار، وأرسلها إلىَّ ومعها كتابٌ يعرفنى فيه بذلك، فأكرمها  
واعتنين بها.

فقلن: سمعاً وطاعة، زادك الله من فضله.  
وتوجهت أخت الخليفة إلى مقصورة نُعم، لترى جارية أخيها الجديدة  
وتنظرُ ما يناسبها من لباسٍ وحُلٍّ.  
فلما رأتها بهرها جمالها وشبابها رغم ما قلستهُ نُعم من الشدة والحزن  
والمشاق، فقالت لها:

لا يشقى من حلٍّ فى هذا المنزل.

فقالت نُعم: يا سيدتى قصرُ من هذا؟ وأى مدينةٍ هذه؟  
فأجابت مُندهشة لسؤال نُعم: هذه مدينة دمشق! وهذا قصرُ

أَخَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَمَا عَلِمْتَ هَذَا مِنْ قَبْلُ ؟

أَجَابَتْ نَعَمْ : يَا سَيِّدَتِي لَا عِلْمَ لِي بِهَذَا .

وَالَّذِي بَاعَكَ وَفَبَضَّ ثَمَنَكَ ؛ أَمَا أَعْلَمُكَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ اشْتَرَاكَ ؟  
فَلَمَّا سَمِعَتْ : نَعَمْ هَذَا الْكَلَامَ تَبَلَّجَتْ الْحَقِيقَةُ الْمَرَّةَ أَمَامَ عَيْنَيْهَا ، وَعَرَفَتْ  
الْحِيلَةَ الَّتِي انْطَلَتْ عَلَيْهَا ، وَانْحَدَرَتِ الدَّمُوعُ عَلَى خَدَّيْهَا ؛ وَلَمْ تَأْمُلْ فِي  
رَجَاءٍ يَأْتِيهَا إِذَا مَا شَرَحَتْ لَهَا حَالَهَا ، فَفَضَّلتُ السَّكُوتَ عَلَى الْكَلَامِ ،  
وَأُطْرَقَتْ إِلَى الْأَرْضِ ، فَلَمَّا رَأَتْهَا أُخْتُ الْخَلِيفَةِ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ظَنَّتْ أَنَّهَا  
مُسْتَوْحِشَةٌ وَتَرَكْتَهَا ، وَمَضَتْ إِلَى وَقْتٍ آخَرَ .

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ أَحْضَرَتْ لَهَا الشَّيَابَ الْمُرَكَّشَةَ وَالْقَلَانِدَ وَالْجَوَاهِرَ  
وَالْبَسْتَهَا وَجَمَّعَتْهَا وَنَعِمَ بَيْنَ يَدَيْهَا صَامِتَةٌ سَاهِمَةٌ مُطْرَقَةٌ ، وَبَيْنَ كُلِّ لَحْظَةٍ  
وَلَحْظَةٍ تَتَأَوَّهُ آهَةٌ تَحْسُ سَيِّدَتُهَا أَنَّ نِيَاطَ قَلْبِهَا قَدْ تَمَزَّقَ ، ثُمَّ زَفَرَ زَفْرَةً  
يَكَادُ حَرُّهَا يَشْوِي مَا يَمَسُّهُ ، وَتَحَاوَلُ أَنْ تَكْفِكَفَ مِنْ عَيْنَيْهَا دَمْعًا غَزِيرًا  
فَلَا تَقْدُرُ .

يَحْدُثُ هَذَا كُلُّهُ ، وَسَيِّدَتُهَا لَمْ تَقْدُرْ إِلَّا أَنَّهَا مُسْتَوْحِشَةٌ ، وَاسْتَمَرَّتْ  
فِي تَزِينِهَا وَجَلُّوْهَا حَتَّى فَرَّغَتْ مِنْ ذَلِكَ ؛ ثُمَّ دَعَتْ الْخَلِيفَةَ لِلدَّخُولِ إِلَيْهَا ،  
وَهِيَ تَقُولُ لَهُ :

أَنْظُرْ إِلَى جَارِيَتِكَ الَّتِي أَفْرَغَهَا اللَّهُ فِي قَالِبٍ مِنَ الْجَمَالِ وَالْحَسَنِ ،  
فَقَالَ الْخَلِيفَةُ لِنَعَمْ :

اكَشِفِي الْقِنَاعَ عَنْ وَجْهِكَ يَا فِتْنَتِي ، وَكَانَتْ قَدْ سَرَّتْهُ عِنْدَ دَخُولِهَا ،

فلم تكشف قناعاتها، وظلّت مُطْرِقَةً . فقال الخليفة لأخته . دعِها تستأنسُ  
بك ثم تركها وانصرف .

وكان لما عاتته نُعم من غم وحُزنٍ ومَشَقَّةٍ أثرٌ سيِّئٌ على نفسها وصحتها  
فما أتى مساء هذا اليوم حتى كانت فريسةً للمرض ، تمضُّها وطأةُ الحمى  
ونُقِلَ خبرُ مرضها إلى الخليفة ، فاستدعى لها أُمهرَ الأطباء ، فبدلوا جهدهم  
معه ، حتى أبعَدوا عنها شبحَ الموت ، ولكنهم أخفقوا في شفاؤها ، فقد  
ظَلَّتْ مع اهتمامهم بأمرها ، وعنايتهم بها مريضةً عليلَةً .

## ( ٢ )

أما ما كان من أمرِ نعمة ، فإنه لما عادَ إلى منزله ، ولم تستقبله نُعم  
كعادتها — نادى : يا نُعم .

فلما لم تلبَّ النداء ، ظنَّ أنها في بعضِ أمرها ؛ ودخلَ إلى حجرتِه ،  
فلما استبطأها كرَّرَ النداء ، فلم يجبه أحدٌ ، فتمعَّبَ لذلك ، وخرجَ ينادى  
يا نُعم ، ولما لم تجبهُ نادى الجوارى ليستفهم عنها ؛ ولكنَّ جميعَ الجوارى  
كنَّ قد اختبأنَ واختَفَيْنَ حتى لا تقعَ عينُهُ عليهنَّ ، ولم تستطِعْ واحدةٌ  
منهنَّ أن تجابهه بخروج سيدتهن ، وغياها ، فزادت دهشةُ نعمة ، واشتد  
عجبهُ من هذا الأمرِ المُبهم . فذهبَ إلى حُجرةِ أمِّه ، فوجدها جالسةً حزينةً ،  
ويدها على خدِّها ، فقال لها : يا أمِّي ؟ أين نُعمُ ؟ وماذا دَهِىَ أهلَ المنزل ؟ !  
قالت : يا ولدى ؛ نُعم مع مَنْ هِيَ أَخوفُ منى عليها ؛ وهى العجوزُ  
الصالحَةُ . فقد خرجت معها لتحسن إلى الفقراء ، وتعود المرضى ،

وَتُصَلِّيَ فِي الْمَسْجِدِ الطَّاهِرِ ، وَتَدْعُو لَكَ وَلَهَا ، وَقَدْ تَدْعُو لِي أَنَا كَذَلِكَ .  
 قَالَتْ : مَا كَانَ لَهَا بِذَلِكَ عَادَةً ! وَفِي أَيِّ وَقْتٍ خَرَجْتَ ؟  
 قَالَتْ : خَرَجْتُ بُكْرَةَ النَّهَارِ .

قَالَ : وَكَيْفَ أَذْنَيْتِ لَهَا ؟

فَأَجَابَتْ : يَا وَلَدِي ؛ هِيَ الَّتِي أَشَارَتْ عَلَيَّ بِذَلِكَ ، فَقَدْ أَغْرَبَتْهَا  
 الْعَجُوزُ ، وَاسْتَمَاتَهَا ، فَأَيَّبْتُ عَلَيْهَا ، وَاسْتَشَارْتَنِي فَلَمْ أَشِرْ ، وَتَرَدَّدْتُ فِي  
 الْأَمْرِ ، وَأَنْكَرْتُ عَلَيْهَا أَنْ تَخْرُجَ ؛ وَلَكِنْ إِنْ لَحَاحَ الْعَجُوزُ ، وَوُثِقَ  
 فِيهَا ، وَاطْمَئَنَّا نَافِيَا — جَعَلَاهَا تَذْهَبُ مَعَهَا ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَهَا السَّلَامَةَ .  
 وَلَمَّا رَأَى الْوَقْتُ عَلَى نِعْمَةٍ وَهُوَ يَنْتَظَرُهَا ، وَلَمْ تَعُدْ — عَرَفَ أَنَّ فِي  
 الْأَمْرِ حِيلَةً ، وَأَنَّ هُنَاكَ تَدْبِيرًا مُحْكَمًا لِاغْتِصَابِ نِعَمٍ ، وَأَنَّ شِرَاكًا نُصِبَتْ  
 لِاخْتِطَافِهَا ؛ وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ نَهَضَ وَذَهَبَ مِنْ فُورِهِ إِلَى صَاحِبِ الشَّرْطَةِ ،  
 وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ؛ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ الشَّرْطَةِ :

صَفِّ لِي الْعَجُوزَ الَّتِي خَرَجْتَ مَعَهَا زَوْجَتَكَ فَوْصَفْهَا لِي . فَعَرَفَ  
 صَاحِبُ الشَّرْطَةِ أَنَّهَا عَجُوزُ الْوَالِي .

فَقَالَ لِنِعْمَةٍ : دُلِّي عَلَى مَكَانِهَا ، وَأَنَا أَخْلِصُ لَكَ زَوْجَتَكَ مِنْهَا .

فَقَالَ نِعْمَةٍ : لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَا مَكَانَهَا لَمَّا لَجَأْتُ إِلَيْكَ .

فَقَالَ صَاحِبُ الشَّرْطَةِ وَهُوَ يَحَاوِلُ إِظْهَارَ الْأَسْفِ : وَمَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ  
 إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

فَاغْتَاطَ نِعْمَةً مِنْهُ ، لِمَحَاوَلَتِهِ التَّخْلُصَ مِنْ أَدَاءِ وَاجِبٍ هُوَ فِي الْوَاقِعِ

من عمله ؛ وقال له محمّدًا ؛ وأنا لا أعرف زوجتي إلا منك ، ولا يدلّني على مكانها إلا أنت ؛ وبينى وبينك الوالى ، وهو رجلٌ قاسٍ فى الحق ، صارمٌ عادل .

فتبسّم صاحبُ الشرطة غيرَ مبالٍ بغضبه وحدثته ، ولا مكترثٍ بتهديده ووعيده ، لأنه فهم السرّ ، ثم قال :  
اذهب إلى من شئت ، واشكُ إلى من أردت .

ذهب نعمة من فوره إلى قصر الوالى ، وبعث مع الحأجب شكايته ، ليرفعها إليه .

ولما كان والدُ نعمة من وجهاء الكوفة وسراتها — لم يتوان الوالى فى استدعائه إليه وسؤاله عن قضيتته .

دخل نعمة على الوالى فاستقبله باسمًا ، وردّ عليه التحية ردًّا جميلًا ، ثم سأله : ما شأنك .

فقصّ عليه قصة زوجته نُعمَ والمعجوز ، فأمر الوالى باستدعاء صاحب الشرطة ؛ فاما حضرَ قال له ، وهو يعرفُ أنه يعرفُ المعجوز : أريد أن تبحث عن زوجة نعمة بن الربيع ، وأن تبذل ما تستطيعه فى هذه المسألة التى لا ينبغى السكوت عليها منّا .

قال صاحب الشرطة :

لا يعلم الغيب إلا الله .

قال الوالى : لا بد أن تبعث رجالك على ظهور الخيل تبحث فى

الطرقَات ، وَتُنْقَبُ فِي الْبِلْدَانِ ، وَأَنْ تَبْتَ عَيْونَكَ هُنَا وَهَنَاكَ ، يَتَسَقَطُونَ الْأَخْبَارَ ، وَمَنْ الضَّرُورَى أَنْ تَعْرِفَ مَصِيرَ هَذِهِ الزَّوْجَةِ .

ثُمَّ قَالَ لِنَعْمَةٍ : وَإِنْ لَمْ تَرْجِعْ إِلَيْكَ زَوْجَتَكَ فَلَاكَ مِنْ دَارَى عَشْرُ جَوَارٍ ، وَمِنْ دَارِ صَاحِبِ الشَّرْطَةِ مِثْلَهُنَّ وَالتَّفْتُ إِلَى صَاحِبِ الشَّرْطَةِ ، وَقَالَ لَهُ :

أَخْرِجْ مِنْ فُورِكَ فِي طَلَبِ الزَّوْجَةِ .

فَقَالَ : سَمِعًا وَطَاعَةً .

وَانصَرَفَ .

وَعَادَ نَعْمَةُ إِلَى دَارِهِ حَزِينًا مَكْتُئِبًا ، يَأْسًا ، قَانَطًا ؛ فَأَتَاهُ وَالِدُهُ ، وَقَالَ لَهُ :

يَا وَلَدِي لَا تَيَاسُ وَلَا تَقْنَطُ ، فَمِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ يَأْتِي اللَّهُ بِالْفَرَجِ . وَتَذَاهِبُ الِهْمُومُ عَلَى نَعْمَةٍ ، فَسَاءَتْ حَالُهُ ، وَأَظْلَمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ فَلَمْ يَهْنَأْ لَهُ طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ ، وَلَمْ يَطْبُ لَهُ رُقَادٌ ، وَنَفَرَ مِنَ النَّاسِ نَفُورًا شَدِيدًا ، فَلَزِمَ غُرْفَتَهُ ، وَآثَرَ الْوَحْدَةَ وَالْإِنْفِرَادَ ؛ وَظَلَّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ زَمَنًا طَوِيلًا ، لَا يَعْرِفُ أَحَدًا ، وَلَا يُخَاطَبُ أَحَدًا ، وَلَا يَأْنَسُ إِلَى أَحَدٍ ؛ وَرَكِبَتْهُ الْأَمْرَاضُ ، وَعَادَهُ أَمَهُرُ الْأَطْيَاءِ وَوصَفُوا لَهُ أَنْجَعَ الدَّوَاءِ ، فَلَمْ يَبْرَأْ مِنْ مَرَضِهِ ، وَلَمْ تَخَفْ عَنْهُ عِلَّتُهُ ، وَأَخِيرًا وَصَلَ إِلَى سَمْعِ وَالِدِهِ الْبَائِسِ الْحَزِينِ نَبَأَ وَجُودِ طَيِّبٍ أَعْجَبِيَّ ، عَرَفَ بِإِتْقَانِ الطَّبِّ ، وَالتَّنْجِيمِ ، وَضَرْبِ الرَّمْلِ ، فَبِعَتْ فِي طَلَبِهِ .





فلما حضر الطبيب المنجّم ، ودخل عند نعمة ، تفرّس في وجهه  
مُبرهنةً ، ثمّ جسّ نبضه ، وتحمّس مفاصله . وما ابث أن نظر إلى والد  
المحزون وهو يضحك ، ويقول :

ليس بولدك غيرُ مرضٍ في قلبه ، مرض في عواطفه ووجدانه ، مرض  
لا تنفع فيه العقاقير ، ولا تُبرئه منه الأدويةُ .

فقال الوالد : صدقت يا حكيم ، فانظر في شأنٍ ولدي فلعلك تستطيع  
أن تشفى رُوحه .

فقال الأعجميّ : إنه مريضٌ بسبب فراق زوجته ، وهذه الزوجةُ  
في البصرة ، أو في دمشق أو في غيرها من المدن الأخرى ، وما دواء  
ولدك غيرُ رؤيتها .

فقال الربيع : إن جمعتَ بينهما فلك عندى ما يسرك .

فقال الأعجميّ : سيكونُ ذلك أمرًا سهلًا إن شاء الله ، فهو  
على هين .

ثمّ التفتَ إلى نعمة وقال له : لا بأس عليك ، اشدّد حولك وقوّة  
قلبك ، وطبّ نفسك ، وقرّ عيتًا ، فإننا بإذن الله سنشدّد رحالنا إلى بعض  
البلاد في مثل هذا اليوم من الأسبوع المقبل ، ولن نعود إلّا بزوجتك ،  
وأودّ أن تنتعش ، وتأكل ، لتستردّ عافيتك ، وتقوى جسمك على تحمّل  
مشقات السفر .

فلما سمع نعمة ذكر زوجته ، واحتمال لقائها — رفع رأسه ثمّ تحامل

على نفسه ، حتى استوى جالساً ، وأخذ يتمم بكلام كثير ، فهم منه أنه يسأل الله أن يحقق رغبته ، ويستجيب للطبيب أمنيته ، وتغيرت حالته المعنوية ، وبدأ يلتعش بعض الانتعاش ، وأخذت الحياة تدبُّ في أوصاله ، فوالاه والده بالطعام والشراب ، مدة الأسبوع الذي حدّده الأعجمي ليبدأ بعده السفر بصُحبته ، فاستردَّ عافيته وقوّته .

### ( ٣ )

أما الأعجمي فقد قضى هذا الأسبوعَ في الاستعداد للسفر والتأهب له وإعداد ما يحتاج إليه من آلات وغيرها ، والده نعمة لا يرضنُّ عليه بما لا حتى بلغ ما أمده به عشرة آلاف ديناراً أو يزيد .

وفي اليوم الموعود جاء الطبيبُ الأعجميُّ ، وأعدَّ له الركب فودّع نعمة والديه ، وهما يدعوان له بالدعوات الصالحة ويتمنيان له تحقيق أمله ، وبلوغ مراده . ثم صحبَ الأعجمي وشدَّ الرحال ، وقصداً أولاً إلى حلب فأقاما فيها أسابيع يتسقطون الأخبار ، ويتجسسون ، ويتحسسون ، ويفشون أسواق الرقيق ؛ ولكنهما لم يقفا على خبر للزوجة نُعم ، فاستأنفا السفر حتى أتيا مدينة دمشق .

واتخذ الأعجمي دكاناً في مكان ظاهر بسوق المدينة ، ولم يأل جهداً في إعداده ، وترتيبه ، وتنسيقه بالستائر المزركشة ، والتحف النادرة ، والقاشاني الثمين ، الذي تُنمَّق ببراعة تلفت الأنظار ، فوق أرفف مؤهت بماء الذهب ، وصف على موائد مستطيلة صنوفاً كثيرة من زجاجات الأدوية

وقَيْنَات الأدهنة ، بجانبها أوانٍ ، وأفداح من البللور اللامع البراق ،  
الذى يأخذ العين ، ويخلبُ اللب ، ثم اتخذله مجلساً في صدر الدكان ،  
ووضع أمامه الثُحف والاصطرلاب ، وارتنى ملابس أهل الطب  
والحكمة ، فكان الناظرُ إلى هذا الدكان يرى صيدلية من أجل  
الصيدليات ، وقد حوت أدويةً يخيلُ للناظر إليها من قريب أن نعمة  
الشفاء من كلِّ داءٍ تتطلع إليه من بين الزجاجات ، ومن خلال الحِفاق ،  
ومن ثنايا العُلب ، ومن بين الأرفف .

أما نعمةٌ فقد أوقفهُ بجانبه ، وألبسه ملابس ثمينة من الحرير  
المزركش بخيوط الذهب . وقال له :

يا نعمة ؛ أنتَ من اليوم ولدى ، فلا تدعُنِي إلا بأبيك ؛ وأنا  
لا أدعوك إلا بولدى .

فقال نعمة : سمعاً وطاعة .

واجتمع أهل دمشق يتفرِّجون على دكان هذا الطبيب الجديد ،  
ويشاهدون ما به من الأشياء الجميلة . ولكن لا تلبثُ عيونهم أن تتحوَّل  
إلى نعمة يملئون منه أنظارهم لفرط جاذبيته وجماله والأعجميُّ يخاطبُ  
نعمة بالفارسية ، ونعمة يكلمه كذلك بها ؛ فقد كان يعرفها ، كمعظم أولاد  
الأعيان والوجهاء .

وشاع صيت الأعجمي ، وزاعت شهرته في التطبيب ، والتنجيم ،  
ومعرفة العلل والخفايا ، وقصده الناسُ من كلِّ حَدَبٍ وصوب : من

دمشق وغيرها من البلاد القريبة والبعيدة ، يرضون عليه أنفسهم ، ويشكون حالهم ، ويشرحون ما بهم من أمراض وعلل ، ويتوسلون إليه أن يفحص ما بهم من أدواء فيمش في وجوههم ويدش لهم ، ويحاملهم ، ويلطفهم ، ويتقدم إليهم في رفق ، وعطف وحنان ويستمع إليهم ، ويُطيلُ باله عليهم ، ويجس النبض ، ويبحث عن موضع العلة ؛ حتى يهتدى إليه ، فيصف الدواء الناجع ، السريع الأثر في إزالة المرض ، والقضاء عليه .

وكان ذلك كله سبباً في إقبال الناس عليه ، وتودُّعهم إليه ، يطلبون الحياة عنده ، وهو لا يفتأ يعاملهم أجمل معاملة ؛ ويلطفهم أرق ملاطفة ؛ لا يفرق بين كبير وصغير ، وغني وفقير ، فالكل أمامه سواء ، وقد يكون أكثر عطفاً على المقيّر ، وأشدّ رحمة به ، فيجامله بالآ يتقاضى أجراً ، وقد يصرف له الدواء ، من غير أن يتقاضى له ثمنًا ، فينصرف عنه وهو يدعو له بالخير والبركة ، ودرام الصحة والمافية .

لذلك كله أحبه الناس حباً شديداً ، فهو الذي يتفضل عليهم ، ويعنهم من عامه وفئه وصيدليته صحة وعافية ؛ وصاروا يترددون عليه ، حتى الأصحاء منهم لمجرد التسليم والتحية والزيارة

وبينا كان الطبيب جالساً ذات يوم على عادته في صدر الدكان وبجانبه نعمة ، إذ أقبلت عليه عجوزٌ تركبُ حماراً ، وأشارت إلى الطبيب فأسرع إليها ، وأخذ بيدها ، وترفقَ بها ، حتى أنزلها من فوق الحمار ،

وتوكّأت على كتفه ، حتى أجلسها على دكة بجانبه ، وابتسم لها ، ورحّب بها ؛ فقالت في صوتٍ متهدّج :

أأنت الطبيب الأعجميُّ الذي وفد علينا من العراق ؟

قال : نعمُ يا سيدتي ، أنا الطبيب الأعجميُّ الذي وفد عليكم من العراق ، فأكرمتُم وفادته في هذا البلد الطيّب .

قالت :

اعلم أنّ لي بنتاً مريضة ، وأودُّ أن تعرفَ لي علّتها ، وتداويها ، ثم أخرجت له قارورةً بها بول المريضة ، لعله إن فحص عنه عرف علّتها ودواءها .

فأخذها الأعجميُّ ، ونظر فيها ، ثم قال :

عرّفيني يا سيدتي اسم ابنتك ، حتى أحسب نجمها ، وأعرف ما تتحمّله من دواء ، فإن الجرعات التي نصفها يجب أن تلائم طبع المريض ومزاجه ، ومعرفة طبع المريض ومزاجه متوقّفة على مدى اتّصاله بالنجوم والأبراج .

فقالت العجوز : يا أخا الفرس ، اسمها نُعم .

فأخذ يحسب ، ويكتب ، ويخطّ ، ثم قال :

عرّفيني أيضاً سنّها ، والأرض التي وُلدت وتربّت فيها ، لاختلاف الهواء .

فمرّفته سنّها ، وأن ولادتها ومرباها أرض الكوفة بالعراق .

فقال : وكم شهراً قضت في هذه الديار .  
قالت شهوراً قليلة .

قال : سُنْعْدُ لك ما يوافقها من دواء .

وكان نعمة في ذلك الوقت يقف بجوار الطبيب ، وقلبه يخفق خفقاناً  
عنيفاً ، حتى لتكاد تسمع خفقانه ، فقد سمع اسم نُم ، وأدرك ، بل أيقن  
أنها هي المريضة ، ونظرَ الطبيبُ إليه نظرة فهم مغزاها ، وقال له :  
أعدتُ لها من العقاقير كذا وكذا .

وشرعَ نعمة في إعداد العقاقير ، والمجوزُ تنظرُ إليه ، وهي تتمجب  
من جماله الذي يشبه جمال نُم المريضة . ثم قالت للحكيم الأعجمي :  
يا أبا الفُرس ؛ أهذا مملوكُك أم ولدُك ؟

فقال : يا سيدتي ، إنه ولدي .

وكان نعمة قد فرغ من إعداد الدواء ، ودسَّ في داخل العبلة ورقةً  
كتب عليها بخط أهل الكوفة كلاماً إذا قرأته نُم عرفتُه ، وعرفتُ  
أن سيدها نعمة يعمل عند الطبيب الأعجمي ، وأنه ما زال قلبه على عهده  
يذكرها ولا ينساها ، وزاد أن كتب على غطاء العبلة بالكوفي أيضاً :  
أنا نعمة بن الربيع الكوفي . ثم أعطى العجوزَ العبلةَ وتركها له عشرة  
دنانير ، وانصرفت .

عادت العجوز إلى قصر الخليفة ، وذهبت من فورها إلى مقصورة  
نُم ، فقد كانت إحدى المكافآت بها ، وقالت لها :

يا ابنتي ؛ لقد قصدت اليوم إلى طبيب أعجمي ، ما رأيت أحداً أبصر ولا أعرف بالأمراض منه . فلما ذكرت له اسمك ، ونظر إلى القارورة عرف مرضك ، ووصف دواءك ؛ وأمر ولده فأعد لك هذا الدواء .  
ثم ناولتها العلبة ، وهي لا تزال تتكلم ، وتصف نعم جمال  
نعمة قائلة :

وما رأيت يا ابنتي في دمشق ولا في غيرها أجل ولا أظرف ولا أرق شئ من هذا الشاب الذي يعمل في دكان الطبيب .  
وكانت ثم تسمع لكلام العجوز ، غير مُلقية يالها إليها ، ويسدها  
علبة الدواء التي أعطتها إياها ، فوقع نظرها عفواً على اسم زوجها ،  
واسم أبيه ؛ فارتجفت وخفق قلبها ، وعلمت أن زوجها قد حضر في  
أثرها يبحث عنها ؛ فالتفت إلى العجوز وهي لا تستطيع إخفاء  
لهمتها ، وقالت :

صفي لي هذا الشاب .

قالت : اسمه نعمة ، وعلى حاجبيه الأيمن أثر ، وهو جميل وجذاب ،  
ويرتدى ملابس فاخرة .

فقالت ثم : أعطيتني من الدواء على بركة الله .

ثم شربت الدواء وهي تبسّم وتقول : إنه دواء مبارك بإذن الله .  
ثم أخذت العلبة ، وعادت تتأملها ، وتقرأ اسم حبيبها وزوجها نعمة ،  
وكلما أنعمت النظر فيه سرى في جسمها نسيم الشفاء ، ودبّ ديب الأمل

والرجاء، وسَرَى في أوصالها الانتعاش والسرور، وارتسمت على شفقتها  
ابتسامة « حلوة » جميلة، وهوَم طائرُ السمادة أمام عينيها .

ثم فتحت العلبة تُقَلِّب ما بها، وتلمس الدواء الذي أعده سيدها  
وزوجها، فعثرت بالورقة التي بها، فقرأتها، فزادت نفسها اطمئناناً ،  
وأحسَّت النسيم روحاً وريحاناً، وتحققت قرب الفرج ولاحظت المعجوز  
ابتهاجها ونور وجهها، فقالت .

يا ابنتي ؛ إنك اليوم أحسن حالاً ، فهو حقاً يوم مبارك .

فقالت نُعم :

نعم ؛ لأنني أشعر الآن بتحسُّن كبير ، وأحسُّ أني جائعة وأريد شيئاً  
أأكله أو أشربه .

فنهضت المعجوز مسرعةً إلى الجوارى ، وقالت لهن :

أسرعن ، وقدمن الأطعمة الفاخرة لسيدتكن نُعم ، فقد اشتهمت  
نفسُها الطعام ، فأسرعن يُلبِّين الأمر .

وبينا نُعم جالسةٌ تأكلُ ، وأمامها مائدة حافلة بأشهى المأكولات  
وأنغر الأطعمة ؛ إذ دخل عليها الخليفة لينظر حالها ، فلما رآها تأكل  
بشمية ، ورأى بريق الصحة يلمع في عينيها سرَّ كثيراً ، فقالت له  
المعجوز القمرمانية :

يا أمير المؤمنين ؛ اهنأ بعافية جارتك نُعم ، فقد وصل إلى المدينة  
طبيب ما رأيت أعرف منه بالأمراض وعلاجها ، فأتيت لها منه بدواء ؛



ما كادت تأخذ منه مرةً واحدةً ؛ حتى شمعت بديبب العافية ، وبوادر الصحة ، فقال الخليفة :

إله لشيء مدهش حقاً نخذى ألف دينار وتوجهى بها إلى هذا الطبيب ، وانقذيه إياها جزاء له على ما فعل من معجزة .  
فقلت المعجوز : سمعاً وطاعة .

وقصدت المعجوز إلى دكان الأعجمى ومعهما النقود وورقة كتبتهما نُم وطابت منها أن تُعطى الطبيب إياها ، فهى تشكره فيها على حسن صنيعه فاما وصلت وأعلمته أن الجارية التى كانت مريضة جارية الخليفة ، وأن هذه النقود هبة من الخليفة له ، وأخذ الطبيب النقود والورقة ، فعرف أن الورقة من نُم ، فأعطاها للنعمة : فما إن أخذها هذا وفتحها ووقعت عيناه على خط نُم ، وعلى الكلمات التى خطتها ، تبينُ بها حالها ومآلها ، حتى انتفض انتفاضة عجبية ؛ ثم سقط مغشياً عليه ، فأسرع الطبيب إليه وعمل على إسعافه وإفاقته .

وكانت المعجوز قد تملكها الدهشة والخيرة لما حلَّ بالفتى ، وأخذت تنظر إليه وهى حزينة عليه راثية له أسفة لحاله ، فقد شمعت نحوه بحجة وحنان ، ونزل من قلبها منزلة الولد . فاما أفاق قالت له :

ما الذى يُبكيك يا ولدى ؟ ! لا أبكى الله لك عيناً .

فقال الأعجمى :

ياسيدتى ، كيف لا يبكى وهذه الجارية المريضة زوجها ، وهو

زوجها نعمة بن الربيع . وما عافيتها إلا مرهونة برؤيته ، وليس بها علة  
إلا بُعدها عنه مع محبتها له . فخذى أنت ياسيدتى هذه الدنانير التي  
أحضرتها لي ولك عندي أكثر منها ، إذا أنت نظرت لنا بعين الرحمة  
وعملت على مساعدتنا في الجمع بين الزوجين المتحايين المتوادين ، اللذين  
فرَّق بينهما مكر الماكرين وخِداع الخادعين . فنظرت العجوز بعطف  
إلى نعمة وقالت له :

هل أنت زوجها ؟

قال . نعم

قالت : صدقت ، فهي لا تفتُر عن ذكرك في صحوها ومنامها ،  
فإذا نطقت فأنت أول منطقة ، وإذا سكنت فأنت في قلبها ، وإذا نامت  
فأنت لذيذ أحلامها فقصَّ عليها نعمة قصته وقصتها ، وعرفها ما قالسناه  
من مرضٍ ، ولقاءه من تعبٍ ومشقة .

فقالت : يا فتى ، إن اجتماعك بها سيكون إن شاء الله على يدي .  
وركبت لساعتها ، وعادت إلى قصر الخليفة ، ودخلت على نُعم ،  
ونظرت إلى وجهها وهي تبشُّ وتضحك .  
وفالت لها :

يَحَقُّ لك يا ابنتي أن تبكي وتمرضي من أجل فراق سيدك وزوجك  
نعمة بن الربيع الكوفي .

قالت نُعم : لقد انكشف لك الغطاء وعرفت السبب .

فَقَالَتِ الْعَجُوزُ: طَيِّبِي نَفْسًا، وَانْشَرَحِي صَدْرًا، وَاهْنِي عَيْشًا،  
فَوَاللَّهِ لَأَجْمَعَنَّ بَيْنَكُمَا وَلَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ ذَهَابُ رُوحِي .

ثُمَّ عَادَتْ مِنْ فُورِهَا إِلَى نِعْمَةٍ، وَأَعْلَمَتْهُ مَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ نِعْمٍ،  
وَقَالَتْ لَهُ: إِنْ زَوْجَتِكَ عِنْدَهَا مِنَ الشَّوْقِ لَكَ أَكْثَرُ مِمَّا عِنْدَكَ لَهَا .  
فَإِنْ كَانَ لَكَ جَنَانٌ ثَابِتٌ وَقَلْبٌ قَوِيٌّ — فَأَنَا أَخَاطِرُ نَفْسِي، وَأَذْبَرُ  
حِيلَةَ، وَأَعْمَلُ عَلَى لِقَائِكَ . وَذَلِكَ بَأَنْ أَلْبَسَكَ ثِيَابَ الْجَوَارِي وَأَدْخَلَكَ  
قَصْرَ الْخَلِيفَةِ عَلَى أَنْكَ جَارِيَةٍ، فَإِنْ نِعْمَ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخْرِجَ بِهَا الْآنَ .  
فَوَافَقَهَا نِعْمَةٌ عَلَى رَأْيِهَا . فَوَدَّعَتْهُ وَانْصَرَفَتْ عَلَى أَنْ تَأْتِيَهُ لَتَنْفِيزِ  
ذَلِكَ فِي الْعَدَدِ .

#### ( ٤ )

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي حَضَرَتِ الْعَجُوزُ إِلَى دُكَّانِ الطَّيِّيبِ وَفَاءً بِالْوَعْدِ،  
وَمَعَهَا صُورَةٌ مِنْ مَلَابِسِ النِّسَاءِ، وَكُلٌّ مَا تَحْتَاجُ لَهُ الْمَرْأَةُ فِي التَّزِينِ  
وَالْتَجَمُّلِ، وَقَالَتْ لِنِعْمَةٍ: ادْخُلِي بِنَا إِلَى مَكَانٍ مُسْتَتِرٍ خَفِيٍّ .

فَدَخَلَ مَعَهَا إِلَى خُلُوعٍ فِي نِهَايَةِ الدُّكَّانِ، فَأَلْبَسَتْهُ مَلَابِسَ جَارِيَةٍ  
بَدِيعَةِ الصَّنِيعِ وَزَيَّنَتْهُ مَعَاصِمَهُ وَصَدْرَهُ بِالْأَسَاوِرِ وَالْقَلَائِدِ، وَكَانَ لَا يَزَالُ  
خَفِيفَ شَعْرِ الشَّارِبِ وَالْعَارِضَيْنِ، فَسَهَّلَ عَلَيْهَا إِزَالَتَهُمَا، وَجَمَّلَتْ وَجْهَهُ  
وَعَطَّرَتْ شَعْرَهُ، وَعَصَبَتْ رَأْسَهُ بِالْعَصَائِبِ الرِّقِيقَةِ الْمُوَشَّاةِ الْفَاخِرَةِ،  
فَصَارَ كَحُورِ الْجَنَانِ جَمَالًا وَحُسْنًا، فَقَالَتْ لَهُ:

سير أمامي متخطراً كثير النساء ، وقدم الشمال وأخر اليمين ،  
ففعل كما أمرته فلما رأته أحسن السير والتقليد . قالت له :  
هيا بنا ، وقوّ نفسك أمام الحجاب والخدم ، ولا تخفْ وعلى الله  
التوفيق .

ثم سارت وسار خلفها حتى أتت إلى القصر ، ودخلت ونعمة في  
إثرها ، فأراد الحاجب أن ينعمه ، فقالت له القهرمانة :  
يا أنحس العبيد ، هذه جارية نعمة ، فكيف تنعمها من الدخول ؟ !  
ثم قالت لنعمة :  
ادخلي يا جارية :

فدخل نعمة مع المعجوز ، وما زالا سائرين حتى وصلا إلى جناح  
الحريم ، فقالت له المعجوز :

يا نعمة ، اشدّد عزمك ، وثبّت قلبك ، وإذا ما اجتزنا باب الحريم  
فسأتركك حتى لا ينتبه لنا أحدٌ ، وعندما أتركك سير على شمالك وعدّ  
خمسَ أبواب وادخل الباب السادس ، ولا تخف ، وإذا كلمك أحدٌ  
فلا تردّ عليه .

فقال لها : سمعاً وطاعة .

فلما أراد اجتياز باب الحريم اعترضهما الحاجب المكلف حراسته ،  
وسأل المعجوز من تكون هذه الجارية ؟  
قالت : إن سيدتنا نعمة تريدُ شراءها .

فقال الحاجب : ما يدخلُ أحدٌ إلا بإذن أمير المؤمنين .

فقات العجوز : يا رجل عُدْ إلى صوابك ، وثب إلى رُشدك ، ولا تُعرِّض نفسك لغضب السيدة نُعم ، فإن أمير المؤمنين يَعْضِبُ إذا غَضِبَتْ ، فهي جارية الخليفة المقدمة عنده ، وقد تعلق قلبه بها . وما كِدنا نبتهج بشفاها ، حتى تُريدُ لإغضاها ، وتتسبب في كدرها ، واعلم أنك إن تسببت في ذلك فإن فيه حتماً قطع عُنقك ، فهذه الجارية طلبتها وهي تؤذُ شراها ، وقد أحضرتها لها بإذنها . ومن يدرى ، فلعلها لم تطلبها إلا بعد أن أعلمت أمير المؤمنين وأذن لها ؟

ثم وجَّهَتْ حديثها إلى نعمة قائلة :

ادخلي يا جارية ، ولا تُعلمي السيدة أن الحاجب منعك من الدخول لئلا تغضب وقد يمتد غضبها إليه . ونحر لا نرضى له الأذى .

فطأ نعمة رأسه ، ودخل ، وأراد أن يسير إلى يساره كما أفهمته القهرمانة فارتبك وسار إلى يمينه ، ثم عد الأبواب الستة ودخل . فوجد نفسه في مقصورة فرشت بالديباج ، وأسدت على حيطانها ستائر الحرير المذهب ، وفي وسطها مبخرة يتصاعد منها بخور العود والعنبر ، والمسك الأذفر ، ورأى في صدر المكان سريرًا مفروشًا بالديباج والدمقس فجلس عليه نعمة يفكر في أمره وينتظر ما سوف يحدث .

فبينما هو في هذه الحال ، دخلت عليه صاحبة المقصورة ، وكانت

أخت الخليفة ، ومعها جاريتها ، فلما رأت الفتى جالساً ظننته جارية ، فتقدمت منه ، وقالت له :

من تكونين يا جارية ؟ وما خبرك ؟ ! ومن دخل بك إلى هنا ؟  
فلم يتكلم نعمة ، ولم يرد عليها جواباً ، لأنه وإن كان جماله من جمال النساء فإن صوته صوت الرجال .  
فقالت : يا جارية ، إن كنت من جوارى أخى وقد غضب عليك فأنا أسأله لك ، وأستعطفه عليك .

فالتفت أخت الخليفة إلى جاريتها وقالت لها : قفى على باب الغرفة ولا تدعى أحداً يدخل .

ثم تقدمت إلى نعمة ، وتأملت وجهه ، فبهرت من جماله . فقالت :  
يا صبية عرّفينى ، من تكونين ؟ ! وما اسمك ؟ ! وما سبب دخولك هنا ؟ ! فأنا لم يتبع نظرى عليك فى قصرنا من قبل .  
فظل نعمة على صمته ، فدخلت أخت الخليفة شكاً وارتابت فى الأمر وبدأت تمضب ، ووضعت يدها على رأس نعمة ، وأزاحت عنه الغطاء فعرفت الحقيقة .

فقال لها نعمة : يا سيدتى ، أنا مملوكك فاشترينى ، وأنا مُستجير بك فاجيرينى .

قالت وقد أخذتها الشفقة :

لا بأس عليك ، فمن أنت ؟ ! ومن أدخلك إلى عُرفتى هذه ؟



قال نعمة : أَنَا أَيُّهَا الْمَلِكَةُ أَعْرِفُ بِنِعْمَةِ بْنِ الرَّبِيعِ الْكُوفِيَّ ، وَقَدْ خَاطَرْتُ بِنَفْسِي ، وَأَلْقَيْتُ بِهَا إِلَى الْمَهَالِكِ لِأَجْلِ زَوْجَتِي نِعْمَ الَّتِي اخْتَلَتْ عَلَيْهَا وَإِلَى الْكُوفَةِ ، وَأَخَذَهَا وَأَرْسَلَهَا إِلَى هُنَا قَسْرًا .  
فَقَالَتْ : لَا تَخَفْ ، لَا بَأْسَ عَلَيْكَ .

ثُمَّ نَادَتْ جَارِيَتَهَا ، وَقَالَتْ لَهَا : امْضِي إِلَى مَقْصُورَةٍ نِعْمَ وَادْعِيهَا إِلَى ، وَكَانَتِ الْقَهْرْمَانَةُ الْعَجُوزُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ قَدْ أَتَتْ إِلَى مَقْصُورَةٍ نِعْمَ فَوَجَدَتْهَا جَالِسَةً وَحِيدَةً فَسَأَلَتْهَا :

هَلْ وَصَلَ إِلَيْكَ سَيِّدُكَ ؟

قَالَتْ : لَا ، إِنِّي لَمْ أَرَهُ

فَقَالَتْ الْقَهْرْمَانَةُ ، وَقَدْ شَحِبَ لَوْنُهَا ، وَزَاغَ بَصَرُهَا : لَعَلَّهُ أَخْطَأَ فَدَخَلَ مَقْصُورَةَ غَيْرِ مَقْصُورَتِكَ .

فَقَالَتْ نِعْمَ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، لَقَدْ لَازِمْنَا سُوءَ الْحِفْظِ حَتَّى فِي أَحْرَجِ الْأَوْقَاتِ ، وَلَقَدْ فَرَعَتْ أَعْمَارُنَا ، وَانْتَهَتْ آجَالُنَا ، وَجَلَسْنَا حَزِينَتَيْنِ تَفْكِرَانِ .

وَيْنَمَا هُمَا جَالِسَتَانِ سَاهِمَتَانِ حَازِرَتَانِ ، إِذْ بَجَارِيَةٍ أُخْتُ الْخَلِيفَةِ دَاخِلَةً عَلَيْهِمَا ، فَخَبَّتْ ، وَقَالَتْ لِنِعْمَ : إِنَّ مَوْلَاتِي تَدْعُوكِ إِلَى مَقْصُورَتِهَا فَقَالَتْ : سَمِعًا وَطَاعَةً .

فَقَالَتْ الْقَهْرْمَانَةُ لَهَا هَامِسَةً : لَعَلَّ سَيِّدَكَ عِنْدَ أُخْتِ الْخَلِيفَةِ ، وَقَدْ انْكَشَفَتِ الْحِيلَةُ .



وزهدتُ نعيم من فورِها إلى مقصورة أخت الخليفة، وقدهاها تكادان  
لا تحملاها من فرط الارتجاف .

فلما رأتها أختُ الخليفة داخلةً قالت لها :

هذا زوجك نعمة أخطأ فدخل عندي ، وليس عليك ولا عليه خوف  
إن شاء الله .

فلما سمعتُ نعيم من أخت الخليفة هذا الكلام اطمأنتُ نفسيها ،  
وسكر روعها ، وتقدمت إلى مولاه نعمة وفيلته ، ثم سقطا معاً من فرط  
التأثر مغمشياً عليهما ، فلما أفاقا قالت لهما أخت الخليفة :

اجلسا لنُفَكِّركَ في الخلاص من الأمر الذي وقمنا فيه .

فقالا : يا مولانا ، سمعنا وطاعة ، والأمر لك

فأمرت جارتها بإحضار الطعام والشراب . فأحضرتُه ، وانتظم  
الثلاثة حول المائدة يأكلون ويشربون

فلما فرغوا ، قال نعمة :

ليت شعري ماذا يكونُ بعد ذلك ؟ !

قالت أخت الخليفة :

لا يكون إلا الخيرُ . قل يا نعمة ، هل تُحبُّ زوجتك حقاً ؟

قال : يا سيدتي ، إن محبتها ملكت عليَّ جميع مشاعري ، وسيطرت

على كل حوايى ودفعتنى إلى المخاطرة بروحي .

فقالت لنعيم : وأنت يا نعيم ، هل عندك مثل ما عنده ؟

فأجابت : يا سيدتي ؛ إن محبته هي التي غيّرت حالي ، وعصفت  
بكياتي .

قالت : لا كان من يُفرِّقُ بينكما ، فقرّأ عينا ، وطبّا نفساً . ثم  
استطردت قائلة لنعم :

هل تجيدين الغناء يا نعم ؟

فلما أجابتها بالإيجاب . أمرت جاريتهما أن تأتيها بعودٍ . فأخذت نعمُ  
العودَ وأصلحته ، واحتضنته ، ثم أنشأت تغني بصوتٍ عذبٍ رخيم ،  
فكان سحرًا جعلهم في نشوةٍ ولذّةٍ وسرور .

وكلا فرغت من أنشودة أو صوتٍ ، استزادها فزادتهما ، فنعمةُ  
فرحٍ جذلاً ببقائه إياها ، نشوانٌ بسماعه صوتها الذي مضى عليه زمنٌ  
وهو محروم منه .

وأخت الخليفة كذلك فرجةٌ بفرحهما ، مسرورةٌ بسرورهما ، معجبةٌ  
برخامة صوت نعم وعذوبته ، على كثرة ما سمعت من أصوات رخيمة في  
مجالس أخيا من مغنيات وقيّار

وبينما هم ساجحون في بحرٍ من رخامة الصوت ، ولحن الشعر ، ونغم  
الوتر ، والوقت يمرُّ عليهم ، وهم لا يشعرون بمروره ، إذ دخل الخليفة  
عليهم ، مندفعاً إليهم بصدى الصوت الرنان الجليل ، فأكادوا يروّنه حتى  
هبّوا له ، وقبل نعمة ونعم الأرض بين يديه .

فلما رأى الخليفة العود بيد نُعم ، وعرف أنها هي صاحبة الصوت  
الجميل زاد سروراً ؛ وقال لها :

يا نُعم ، الحمد لله الذى شفاكَ ورعالكِ ، وأذهبَ عنك المرض ، ثم  
نظر إلى نعمة ، وقال لأخته :

يا أختي ، من هذه الجارية ؟ !

قالت وهي تضحك : يا أمير المؤمنين ؛ إن لك جاريةً أنيسة لا تأكل  
نُعم ولا تشرب إلا بها ، فقال : والله إنها للمليحة مثلها ، وفي غدٍ أدخلها  
مقصورةً بجانب مقصورة نُعم لكرامتها .

ودعت أخت الخليفة أخاها إلى الجُلوسِ فى مجلسها ، ودعت له بالطعام  
والشراب ، فلما فرغ أوماً إلى نُعم أن تنشد له شيئاً ، فأخذت العود  
وشدته ، وما لبث المسكأن أن انتشى مردداً صدى صوتها العذب الحنون .  
وطرب الخليفة أيما طرب ، وطلبَ منها أن تزیده من أنغامها  
والحنانها وهو يقول :

لله درك يا نُعم ، ما أفصحَ لسانك !! وأوضحَ بيانك !! وأرغمَ  
صوتك !! وما زالوا على هذا الحال حتى انتصف الليل ، فقالت أخت  
الخليفة لأخيها اسمع يا أمير المؤمنين . لقد قرأتُ قصةً فى بعض الكتبِ  
عن أرباب المراتب ، وأودُّ أن آخذَ رأيك فيها .

فقال : وما هى هذه القصة ؟

قالت : إنه كان بمدينة الكوفة فتى يسمى نعمة بن الربيع ، وكان له

جارية يحبُّها وتحبه ، شَبَّتْ وترَبَّتْ معه . فلما كبرا أَعْتَقَهَا وترَوَّجَهَا .  
ولكن لم يَتَمَتَّعا طويلا بِحُبِّهِما وسَعَادَتِهِما ، فقد رَمَاهُما الدهرُ بِنَكَبَاتِهِ .  
وجارَ عليها الزمانَ بِآفَاتِهِ . فلعبَ عليها الماكرُونَ بِحِيلِهِم ، حتى فَرَّقُوا  
بينهما ، وانزعَوْها منه ظُلماً وباعَوْها لِبَعْضِ الملوِكِ بِعَشْرَةِ آلافِ دينارٍ ،  
ففارقَ نعمةَ أَهلهِ ودارَهُ وبلَدَهُ ، وسافرَ في طلبِها ، غيرَ ضَّنينٍ بِبَذْلِ المَالِ ،  
ولا آهِ لِلْمَشَقَّةِ وَالتَّعَبِ . حتى التَقى بِزَوْجَتِهِ بعدَ أَنْ خَاطَرَ بِرُوحِهِ ،  
مَعْرُضاً إِيَّاهَا لِلتَّلَفِ . وما كادَ يَلْقَاهَا ، ويَجْلِسُ مَعَهَا حتى دَخَلَ عليهما  
الملكُ الَّذِي كانَ قد اشْتَرَاهَا بِمَنْ سَرَقَهَا فَعَجَّلَ عليهما ، وأَمَرَ بِقَتْلِهِما .

فما تقولُ في ظلمِ هذا الملكِ يا أَميرَ المؤمنين ؟

فقال الخليفةُ : إِنَّ هذا الشَّيْءَ عَجِيبٌ ، فقد كانَ يَنْبَغِي على ذلكِ  
الملكِ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمَا ، ولو تَأَنَّى لِأَحْسَنَ في ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ ، أولُها أَنَّهُ  
حَفِظَ لَهَا حُبَّهُمَا ، ثانيها أَنَّهُما بَعَزَلَهُ ، وتَحَتَّ يَدُهُ . فيَجِبُ أَنْ يُنْزِلَهُما  
مَنْزِلَةَ الصَّيْفِ الَّذِي تَقْتَضِيهِ المَرْوِةُ أَنْ يَكْرِِمَهُ . وثالثُها ، أَنَّ هذا  
الأمرَ يَتَعَلَّقُ بِهِ ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ حَكَمٌ عَدْلًا ، وإِلَّا فَمَا كانَ أَهْلًا  
أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ الناسِ .

لذلكَ أَرى أَنَّ هذا الملكَ قد فَعَلَ فَعْلًا لَا يُشَبِّهُ فِعْلَ الملوِكِ السَّمِيعاءِ  
الَّذِينَ لَا يَتَعَجَّلُونَ العُقُوبَةَ ، وَلَا يُصْدِرُونَ إِلَّا عَنِ رَويَةٍ ، ولا سِيا إِذا كانَ  
الأمرُ يَتَعَلَّقُ بِشَخْصِهِم ، فلا يَتَصَلُّ بِالدَّولَةِ وشُؤْنِهَا ، ولا يَوَثِّرُ في  
الرِيعَةِ وحياتها وأَمْنِها .

فانبسطت أسارير وجهها وقالت :

يا أخى من حَكَمَ عَلَى نفسه بشئٍ لزمه القيام به ، والعمل بقوله .  
وأنتَ قد حكمتَ عَلَى نفسك بهذا الحكم . ثم قالت :  
يا نعمة ، قف عَلَى قدميكَ ، وكذلكَ أنتِ يا نَعَم .

وقالت للخليفة : يا أمير المؤمنين إن هذه الفتاةَ الواقةَ « وأشارت إلى نَعَم » هى نَعَم الزوجة المسروقة من زوجها ، سرقها واليك بالكوفة ، وأرسلها إليك ، مُدَّعِيًا أَنَّهُ قد اشتراها بعشرة آلاف دينار كَذِبًا ، وهذا الواقف هو نعمةُ بن الربيع زوجها ، فَأَنَا أَسْتَحْلِفُكَ بالله ، وَأَسْأَلُكَ بجرمة آبائك الطاهرين أن تعفو عنهما وتصفح عن جريرتهما ، إِنَّ عُدَّ محبى زوجها خِفية جريرة ، وتدعو لهما ، وتباركهما ، لتغنى أجرهما وثوابهما ، فإنهما فى قُبضَتِكَ ، وتحت رحمتك ، وأنا الشفيعَةُ فيهما ، المستوهبة دَمَهُمَا .

وكان الخليفة قد تملكته الدهشة ، وأخذهُ العجبُ مما يسمعُ من أقوالِ أخته . وما تُبَيِّنُ له من حقائق خافية .

فلما عرف السبب ، وأدرك مقصدها قال :

صدقتِ يا أختاه ، أَنَا حكمتُ بذلك ، وما أَحْكُمُ بشئٍ وأرجع فيه ، ثم قال لنعم :

يا نَعَم ، هل هذا زَوْجُكَ ؟

قالت : نعم يا أمير المؤمنين .

قال : لا بأس عليكما ، فقد أُرْجِعْتَكِ إِلَيْهِ ، لتعيشا معاً في سعادة  
وهناة . ثم وَجَّهَ حديثه لنعمة قائلاً :

ولكن يا نعمة : كيف عَرَفْتَ مكانها ؟

فقال نعمة : يا أمير المؤمنين ، اسمع خبري ، وأنصت لقصتي ،  
فوالله لن أخفي عنكَ شيئاً . وإنَّا انطمعُ في سماحتِكَ ، وأعتقدُ أن حِلْمَكَ  
سيُسْعُنِي ، ويسعُ كُلَّ من عاونني حتى رأيتني في قصرِ الخلافةِ عَلَى الحالةِ  
التي أَنَا عليها . ثم قص عليه ما فعل هو والحكيمُ الأعجمي . وما فعلته  
القهريمانَةُ معه ، وكيف دخلتْ به القصر ، وكيف خلط هو بين  
الأبواب .

فازداد الخليفة عجباً .

وفي الصباح أَمَرَ باستدعاء الطبيب الأعجمي ، وأثنى عليه ، وكافأه ،  
وعَيَّنَهُ في خدمتِهِ ، وهو يقول : إِنَّ مَنْ يَكُونُ في مثل عقلِكَ وتديبيرِكَ  
لا يصحُّ أن تتركه ، وإن من صالحِنَا أن نجعله في مقدمة خواصِّنَا .

وأحسنَ إلى القهرمانَةِ العجوز ، وأنعمَ عليها بما جعلَ لسانها يلهجُ  
بالشكر ، ولا يكفَّ عن الدعاء ، وأكْرَمَ نِعَمَ ونعمة ، ودعأها إلى  
الإقامة في ضيافته سبعةَ أَيَّام ، قضياها في سرورٍ وبهجةٍ ، ومآدبٍ ،  
وحفلات ، ثم استأذنا في السفرِ إلى السكوفة ، فأذن لهما .

فسافرا بصحبةٍ إحدى القوافل .

وعَلَى بُمد الشقة وزيادة المشقة ، وكثرة متاعب السفر . لم يحسَّا

تعباً ، بل مرَّ عليهما الوقت ، وكأنهما في نزهة جميلةٍ قصيرة ، يتمتعان  
بمباهجها ، ويتسليان بمشاهدِها .

وكانت فرحةُ أم نعمة وأبيها بعودةِ ولديهما إليهما مُعافى سعيدياً ،  
ومعه زوجته تفوق الوصف .

وعاشوا جميعاً سُعداءِ بِعَوْدَةِ سعادتهم ، فريحين باجتماع شملهم .







## نور الدين وأتيس الجليس

( ١ )

كان بالبصرة حاكم يدعى محمد بن سليمان الزيني ، قام في رعيته ،  
قيام الاب الرحيم في ولده ، والقاضي العادل في مجلس قضائه ، والسياسي  
الحكيم البصير بتدبير أمره . وقد أسس بنيان ملكه على تقوى الله  
وطاعته ، داعياً إلى دينه ، مبسوط اليد في سبيله ، وكان له وزيران :

أما أحدهما فهو الوزير الفضل بن خاقان ، وكان خيرًا ، سَمَحَ  
النفس ، نير البصيرة ، صادق المشورة ، فأجمع الناس على محبته ،  
والاعتزاز به .

وأما الآخر فهو المعين بن ساوى ، وكان فاسد الطوية ، خبيث  
القطرة ، يفور أثره وحقدًا ، وشرًا على الناس وكيدًا . فهم لذلك  
يعقتونه ، ولا يطمئنون إليه .

وذات يوم أمر الملك وزيره الفضل ، فى جمع من وزرائه وحاشيته ،  
أن يشتري له جارية تكون لذة الدين ، وبهجة القلب ، خلقةً وخلقًا ،  
فقال له الفضل : مثل هذه الجارية قد يبلغ ثمنها عشرة آلاف دينار ،  
فأمر الملك أمين خزينته أن يعطيه هذا المبلغ من المال

أخذ الفضل المال ، وقام ساعيًا فى الحصول عليها . فأصدر أمره  
إلى النخاسين أن يعرضوا عليه الطبقة العليا من الحواري ، قبل أن يبرموا  
فيهن لأحد يبعًا

وبعد شهر جاءه نخاس ومعه جارية ملء العين والقلب : هيفاء  
غضة ، فرعاء بضة ، ساحرة العينين ، وردية الخدين ، ناضرة الجبين ،  
فاحة الشعر ، وهى بعد ذلك رقيقة الحواشى ، عذبة الصوت ، حلوة  
النغم ، جمّها الله بخلق سمح كريم ، فزادت جمالاً على جمال وسحرًا  
على سحر .

وقمت عليها عين الوزير ، فأشرق وجهه سرورًا بها ، فقال النخاس :  
هى أنيس الجليس ، وهى إلى خلقها القويم مثقفة مهذبة ، تجيد الخط ،  
وتحذق علوم اللثة والنحو ، وهى على علم بالتفسير ، وأصول الفقه ،

والطب والتقويم ؛ وتكاد تنطق آلات الطرب تحت أناملها ؛ وستنال من الحاكم إعجابه ورضاه .

لم يتردد الفضل في شرائها ، فسأل النخاس عن ثمنها ، فأجابه : عشرة آلاف دينار ؛ فلم يساومه الوزير ، ونقده عشرة الآلاف ، فقبضها ، وقال :  
لى كلمة إن أذنت لى بها .

فقال الوزير : قل ما شئت ، وهات ما عندك .

فقال : أرى على الجارية آثار التعب ، فقد أجهدتها طول الطريق ، ومشقة السفر ، ونقص العناية بها ؛ فلو حبستها في دارك بعض الوقت ، وكفلتها برعايتك وكرمك ، ومتعتها ببرك ، وأنستها بلطفك ، وأشعرتها عطفك وعنايتك — فارت محاسنها ، وبان جمالها ، فتقع من نفس الحاكم حينما تقدمها إليه موقعاً حسناً .

فرأى الوزير فيما قال النخاس وجه الصواب ، وقرر تنفيذه .  
وتفياآت الجارية في قصره ، ظلل نعمة وكرمه ، فزادت بذلك  
نضرة وجمالاً .

وكان للوزير ولد يدعى نور الدين ، وكان هذا الفتى آية من آيات الله في حسنه ، وروعة جماله ، وحسن قده واعتداله . أعيا نور الدين والديه : فكان عابثاً ماحناً ، لا تراه إلا لاعباً لاهياً ، لا يحمل للدينهاهما ، ولا يحسب لها حساباً . نفشى أبوه أن يفتن بالجارية ، أو يفتنه جمالها .  
فقال لها :

لقد اشتريتك لسيدنا ، وحاكم مدينتنا الذى ندين له بالولاء والمحبة ،  
وجبستك فى دارى حتى تأخذى حظك من الراحة ، فاحذرى أن تقع  
عين ابنى عليك ، أو يسمع لك صوتا .

ولكن الوزير فاته أن ذلك الكلام نبه ذهن الجارية ، ووجهها لشيء  
ما كان يخطر لها على بال ؛ فقد فطر المرء على أن يتشبث بما حرمه ، ويعلق  
هواه بما حبس عنه ، وحيل بينه وبينه . فلم تر بأساً أن تحتال لرؤيته ،  
على سبيل العلم والمعرفة ، لأنها يحفظها منه بقية من دين ، وخلق كريم .  
ولكنها لم تكد تقع عينها على نور الدين حتى وقع من قلبها ، وتمكن منه  
لبارع حسنه ، وفاتن جماله ، وخفة روحه .

وقالت فى نفسها : وما يفيدنى بيت الملك إذا لم يشبع هوى ، ويسعد  
قلباً ، ويرض نفساً ؟ !

وهل المال والقوة والجاه ، وما سخر للإنسان من مظاهر الكون —  
إلا لسعادة النفس ؟ !

وما دامت قد قيضت لى فكيف أكفر بها ، وأقيم سداً بينى وبينها ؟  
فلا يمكن هذا الشاب من رؤيتى فإن نزلت من قلبه المنزلة التى نزلها  
من قلبى ، فلا ضير أن يجمعنا الدين ، ويربطنا الزواج .

ثم حاولت أن تطل من النافذة بحيث يراها ، أو تخطر فى ردهة الدار  
حيث يقع بصره عليها ، أو تذهب إلى غرفة سيدتها حينما يكون ابنها فى  
زيارتها ؛ فراها نور الدين ، وملاً عينيه منها ، فوقعت من قلبه كما وقع من

قلها ؛ والتقيا على الحب الكريم الطاهر الذى لا تشوبه شائبة من شك ،  
وتواعدا على الزواج فى غفلة من أعين الرقباء من رجال القصر وجواريه .  
تحقق حلم الجارية ؛ وظنت فى الشاب أن من وراء خلقه القويم ،  
الخلق الكريم ؛ فذهبا خفية إلى المأذون الشرعى ، وأبرما عنده عقد  
الزواج ، ثم رجعا ؛ وجعلا يجتمعان دون أن يشعر أحد بهما .

وذات مرة لمحت أمه خارجاً من حجرتها ، فارتابت فى أمره ، وخفت  
إليها مسرعة ، تسألها عما دعا نور الدين إلى دخول حجرتها ، فلم تر الفتاة  
بدأً من أن تصارح سيدتها بحقيقة ما جرى ؛ فأسقط فى يد الأم ، ودمعت  
عينها . بن الهم والغم ، ورأت أنه من الحزم أن تخبر زوجها بما حدث .  
ولما أخبرت والده الخبر ، دارت عيناه فى رأسه غما وحزنا ، وقال :  
قلنا نور الدين بفعلته .

فقات أمه : لا يحزنك ما جرى ، وخذ من مالى عشرة آلاف دينار  
لتشتري للحاكم مثل هذه الجارية ، فالجوارى غيرها كثير .

فقال : لو أن الأمر ينتهى عندما تقولين لكان الخطب ، وخف حمله ؛  
ولكن المعين بن ساوى يترصدنى ، ولا يترك فرصة دون أن يوقع بى ،  
وسينخر الحاكم أنى آثرت ابنى عليه ، ولا يتورع أن يستأذنه فيهمج على  
يبنى ، ويستخرج منه الجارية ، ويحملها إليه ، ويكون ذلك دليل صدق  
لوشايته ، وإذا ذاك يحل على غضب الحاكم وعقوبته :

فقات زوجته : مادمت مخلصاً فى ولائك للحاكم ، وفيأله ، صادق

النية، برىء العمل — فأسلم إلى الله أمرك، وارتقب حمايته، فإنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى.

### ( ٢ )

أما نور الدين فقد عرف أن أمه لمحتة، وأيقن أنها ستخبر والده، فأخذ يفكر في أمره وأمر الجارية، ويقدر ما عسى أن يحدث حين يعلم أبوه، فإن في أبيه غلظة وقسوة؛ ولم يجد أبعد له من نقمة أبيه، ولا أروح لنفسه، من أن يقضى يومه وجزءا من الليل في البستان، حتى تسكن حركة القصر؛ ثم يأوى إلى مضجعه.

وحدثته نفسه أن يذهب إلى أمه متوسلا ألا تخبر أباه، ولكنه لم يستطع أن يفعل حياء من أمه، وخشية ألا تطاوعه لأنها تعتبر كتمان هذا الأمر على أبيه خيانة له، ولا سيما أنه كان أوصاها من قبل ألا تغمض عينها عن الجارية حتى لا تقع في شرك نور الدين، أو حتى لا توقعه هي في شركها.

ورأت الأم أن ابنها وزوجه في هزال وعلة، من ألم الفراق والوحدة، فقالت لزوجها: إن ابنك يحسب لك ألف حساب، ويخشى أن تكون غاضبا، فاعتزل الجارية، ولكن كلا منهما دائم التفكير في صاحبه، ويظهر أنهما لا ينعمان بنوم، ولا يهتآن بطعام، وقد أصابهما هزال شديد، وقد يصيبهما سوء إن دامت بهما هذه الحال.

فقال: وماذا أفعل؟



فقلت : أن تجمع بينهما ، وتدعو لهما ، ففسى أن يستجيب الله ويهدي ابنك صراطه المستقيم .

فارتقب الفضل عوده ابنه من بستانه ، وأجلسه بين يديه ، إن جحد النعمة سبيل إلى زوالها ، وقد وهب الله لك تلك الجورزقك بها من حيث لا تحتسب ، فأمسكها بمروف ، وأنص نفسك ، ولا يضارها ، ولا تجزع عن سنة الدين ونهجه القويم ، وإ يجعل لك مخرجا ، ويهيئ لك من كل أمر رشدا .

فقال نور الدين : وستجدني إن شاء الله مستقيما خيرا ، ولا لك نصيحا ولا أمرا .

ثم أذن له والده أن يسكن إلى زوجه ، ويستأنف حياته . اطمئنان ودعة ، فقبل نور الدين يده ، وانقلب إلى زوجه مسرورا وما كادت تنظره ، حتى غرق منها في نظرة عابثة باكية ، وقد كيف هان عليك أن تهجرني ؟ ! فقص عليها ما جرى ، وذهب كل بأس وحزن ، وعاشا في صفاء ووثام سنة كاملة ، أنسى الله في قصة الجارية وطلبه إياها

وكان الوزير المعين بن ساوى يعلم ذلك ، ولكنه يرتقب فرصا من فوزه في وشايته . فلبث يرتقب ويرتقب ، حتى جاء ما لا وعده ، ولحق الفضل بربه . فطاف بالناس : عامهم وخاصهم — من الحزن الأليم على فقدته ، وشيع إلى قبره ، بين مظاهر الأسى والـ



لزم نور الدين داره بعد موت أبيه ، وترك ماله لوكيله ، يدير شؤونه ،  
وسكان بيته مقصد الوافدين ، ونسط يده كل البسط بالعطاء والكرم ،  
غير عابئ بما قد ينتظره من فاقة وعدم فنصح له وكيله ألا يرهق ماله  
بكثرة الإنفاق ، وإلا كان مصيره النفاد .

ولكن نور الدين لم يستمع إلى نصحه ؛ وظل يجمع حوله الخللان  
والأصدقاء ، ويصدق عليهم ، وظل يلح عليه كرمه ، حتى نفذ ماله .

وبينما هو جالس في صحبه ، الذين كانوا كالعلق ، يختلفون إليه في  
الأبكار والعشايا لامتنصاص ثروته ، إذ طرق بابه طارق ؛ تخف نور الدين  
إليه ، وتمه أحد أصحابه وهو لا يشعر به ، فوجد الطارق وكيله ، وقرأ  
على وجهه ما ينبئ عن خطب وهم ، فقال : ما وراءك ؟

فقال الوكيل : وقع ما كنت أخشاه ، فقد نفذ مالك ، ولم يبق منه  
ما يمسك رمقا

فلما سمع ذلك صاحبه الذى تبعه ، ارتد على عقبه مسرعاً إلى أصحابه ،  
وهمس في آذانهم بما سمعه ؛ فقال بعضهم لبعض :

مالنا إليه حينئذ من حاجة ، وما علينا إلا أن ننفض من حوله .

فلما رجع نور الدين وعلى وجهه سمات من هم ناصب ، قال أحدهم :  
أستأذك في الانصراف ، فإن زوجى تلد الليلة ، ولعلها في حاجة إلى  
معاونتى ، وغادر المجلس

وقال آخر : لى صديق وعدته أن أنتظره الليلة في دارى ، وأحب أن

أفنى بوعدى ، مخافة أن يحىء فلا يجذنى . وغادر المجلس أيضا .  
وقال ثالث : لحق بى خادى وأنا قادم إليك ، فأخبرنى أن ابنى يشكو  
ألمًا فى بطنه ، فأرجأت الانقلاب إليه ، حتى أحظى برؤيتك والاطمئنان  
عليك . وغادر المجلس أيضا .

وطفق صحبه ، ينسللون من مجلسه ، واحدا فى إثر آخر ، ملتسمين  
مختلف الأعذار ، حتى انقض المجلس جميعه ، ولم يبق أحد غيره . فدعا  
زوجته وأخبرها بما جرى ؛ فقالت : هممت وقتا ما أن أذكرك هذا المصير ،  
فعرفت أن خطاء السوء ، ورفاق الشر — يحيطون بك ويعلمكون عليك  
سمك وبصرك وقلبك ؛ وأتيت أن كلامى لن يفيد ، فلن تنتصح ،  
فتركك للزمان ، وأمسكت عن الكلام ، ورجوت لك إقبالا سعيدا ،  
ومجدا سائغا ، وهذا قضاء الله الذى لا مفر منه إلا إليه .

فقال نور الدين : لا إخال أصحابى على كثرتهم ، ينوءون بعبء واحد  
مثلى ، كان لهم ينبوعا فياصًا بالخير والعطاء .

فقالت : إن أملك هذا فيهم كمن يأمل فى الشيطان عملا صالحا .  
فقال نور الدين : سأختبرهم جميعهم ، وسأقصد الساعة من آنس فيه  
كرم النفس وصادق الوفاء ، أقترض منه شيئا من المال ، يعيننى على  
التجارة ، حتى يبدل الله من عسرى هذا يسرا .

ثم ذهب إلى أحدهم وطرق بابه ، فأجابته جاريته : من الطارق ؟  
فقال : أخبرى سيدك أن نور الدين بالباب يطلب لقاءك .

فعمدت إلى داخل البيت ، وبعد مدة رجعت إليه قائلة : إن سيدى غير موجود فذهب إلى ثان وثالث ورابع ، فلم يلق إلا مالقيه من صديقه الأول .

فرجع إلى زوجه أنيس الجليس حزيناً ، مكسور الخاطر ، شارد العقل ، زائع البصر ، متتابع النفس ، وقال ما رأيت أحداً منهم أرانى وجهه . فقالت : بع مالا ضرورة له من أثاث البيت ، حتى يبسط الله لنا رزقه ، أو ينفذ فينا حكمه ، وجعل يبيع الأثاث تباعاً حتى لم يبق منه شيء ، ولم يفتح الله عليه بشيء ، فأشارت عليه أن يبيعها ويعمل في التجارة بمنها ، حتى يقيض الله له ثراء ولهما اجتماعاً .

وخرج بها نور الدين إلى السوق ، وفي قلبهما من الحسرة ما تنوء به الجبال ، وتأبى أن تحمله ، فالتقى بالنحاس الذى كان قد اشتراها لوالده فاستقبله استقبالا كريماً ، وعرف غايته ، وطمانه على ثمن لها عظيم ، وقام منادياً :

ما كل بيضاء شحمة ، ولا كل حمراء لحمة ، ولا كل صهباء خمرة ، ولا كل سمراء ثمرة ؛ هذه الدرة اليتيمة والجوهرة الكريمة ، جمال باهر ، وخلق طاهر ، وعلم كثير ، وأدب رائع ؛ فيبلغ ثمنها أربعة آلاف وخمسمائة دينار .

وكان الوزير المعين بن ساوى فى السوق ، فلما سمع النحاس ينادى ، ورأى نور الدين بجانبه عرف أنه أفلس ، حتى لم يبق معه شيء فخرج

يبيع الجارية ، وذلك ما كان يتوقعه بعد موت والده ، فأغراه الشر الذي فطر عليه أن يشتريها لنفسه على أن يأكل ثمنها بالباطل ، ويفجعه فيها ؛ فأرسل إلى النخاس رسولا يبلغه أن الوزير اشتراها بأربعة آلاف دينار . فأمسك عن النداء وانصرف المشترون عنها ؛ خوفاً من بطش الوزير وظلمه .

ثم مال النخاس على نور الدين ، وألقى في أذنه : ضاعت الجارية ، وخسرت الثمن .

فقال نور الدين : وكيف يكون هذا ؟

فقال النخاس : كتب عليك أن يحضر إلى السوق الوزير المعين بن ساوى ؛ وهو رجل مشئوم الطلعة ، زرى السجية . مسموخ الفطرة ، حليف الشيطان . وعدو الإنسان ؛ احتجز الجارية دون الناس لنفسه ، وجعل ثمنها أربعة آلاف دينار ، ولكنه لن يعطى شيئاً منها . وخطته في مثل ذلك أن يكتب أمراً إلى وكيله في إدارة أمواله أن يدفع لحامله المبلغ المبين في ذلك الأمر ؛ فإذا ما ذهب صاحبه إليه ، وجد ألواناً من المراوغة والمطالة ، تنتهى بتمزيق الأمر وطرده حامله ، فيرجع صفر اليدين لا جارية استبقى ، ولا ثمنأ أخذ .

ولما لوالدك علينا وعلى الناس من فضل ونعمة ، فإننى أدلك على حيلة تقبيك شر هذا الظالم الآثم . ذلك أن تأتى إلى الجارية أنيس الجليس ، وتصك وجهها قائلاً : إياك بعد اليوم أن نمصى لى أمراً ، هيا اذهبي

إلى الدار فقد بررت يميني ، وعرضتك للبيع ، ثم تسوقها إلى دارك .  
فقال نور الدين : أشكر لك هذا العون الحميد

ولما تقدم نور الدين يأخذ جاريته اغتاض الوزير ، فزجره وقال :  
كيف تسخر من الناس بإحضار الجارية لبيع كذب ؟  
فقال نور الدين : إنها ملكي أتصرف فيها حسب إرادتي .  
فقال الوزير : ووقتنا ملسكنا ، وليس لك أن تضيعه علينا .

فقال نور الدين : لئن كان وقتك ملكك ، فليس لك أن تنفقه في  
أكل أموال الناس بالباطل ؛ فإن كنت تريد الشراء بالحق فادفع من  
فورك الثمن الذي أرتضيه .

فقال الوزير : ولا بد أن أشتريها بأربعة آلاف دينار على أن تأخذها  
من وكيلى وجذب الجارية إليه .

فلم يطق نور الدين صبراً على هذا الظلم العسارخ ، وقبض بيده على  
جيبه ، وجذبه جذبة عنيفة أسقطته في الطين عن جواده فهم من مع  
الوزير من الممالك أن يضربوا نور الدين . فقال جمع الحاضرين . هذا وزير ،  
وذلك ابن وزير ، وقد ينتهى ما بينهما من شقاق ، فلا تذكوا ناره  
بتدخلكم ، وإلا عرضتم أنفسكم لثورة جموع الناس عليكم .

فأدرك الوزير وخامة العقبى ، وأشار إلى أعوانه أن يكفوا . ثم ذهب  
إلى الوالى ، فى هيئته هذه الزرية ، يشكو حاله ، ويوقع بينه وبين  
نور الدين .

وهناك قل : أرايت كيف نضام في سلطانك ، ونذل في حكمك .  
وعزنا من عزك ، وجاهنا من جاهك ؟ !

عزيز علينا — يا مولاي — أن يظلمنا زمان أنت فيه ، وأن تأكلنا  
كلابه ونخن رجالك .

فقال الملك : ومن فعل بك هذا ؟

فقال الوزير : ذهبت إلى السوق لأشتري جارية ، فألفيت نور الدين  
ابن الفضل يبيع جارية ما رأيت مثلها جمالا وخلقا وعلما ، فسألت النحاس  
عنها فقال : هذه كان الفضل بن خاقان اشتراها لحضرتك بعشرة آلاف  
دينار ، كان قد أخذها من أمين خزانتك ليبْتَاع الجارية التي أردتها فلما  
رآها الفضل ذات جمال رائع ، وعلم واسع ، وخلق كريم — آثر ابنه  
نور الدين عليك ، وجعلها له ، ولما مات ، وتحامل ابنه على ماله بالإسراف  
حتى نفد - اضطر إلى أن يبيع تلك الجارية ، فاشتريتها بأربعة آلاف دينار ؛  
ولكنه أبى أن يديمها لي ، وقال : تكون لليهود ، ولمجوس ، ولا تكون  
لك . فقلت : إنما أردتها لمولاي الوالي الذي دفع ثمنها لأبيك ؛ فمطاول  
عليّ بحمقه ، ورماني في الوحل على مشهد من الناس صغيرهم وكبيرهم ،  
عظيمهم وحقيرهم ، فلم أشأ أن أسوء إليه ، واخترت أن يكون أمره إليك .  
فغضب الوالي ، وبدت آثار الغيظ على وجهه ، وكلف أربعين من  
جنده أن يأتوا بنور الدين وجاريتته ، فصدعوا بأمره ، وأسرعوا إليه  
في داره .

وكان قد سبقهم إلى نور الدين ، أحد المماليك الذين لا يضيع العرف لديهم ، وكان يدعى علاء الدين سنجر . فأمر نور الدين أن يفر بجاريته ، ويهاجر من المدينة ، وأعطاه خمسين ديناراً من ماله ، يستعين بها في هجرته ، معتمداً بضيق ذات يده ، وأنذره إن تناقل ولم يبادر ، أخذه هو وجاريتته إلى الحاكم فقتلها ، لأن الوزير المعين بن ساوى ، أوغر صدره عليهما ؛ وقص المملوك ما قاله .

### ( ٣ )

تنكر نور الدين وجاريتته ، وغادرا البيت إلى الساحل ، وهناك أقامهم مراكب إلى دارالسلام .

أرسل الملك أربعين جندياً إلى بيت نور الدين ، ففتحوه ، وكبسوه ، وفتشوا فيه ، فلم يعثروا على أحد ، فرجعوا إلى سيدهم وأخبروه ، فأصدر أمره بالبحث عنه في كل زاوية من زوايا الأرض وإحضاره ، وفرض أشد العقوبة على من يخفيه ، أو يماونه على الاختفاء ، وجعل لمن يحضره جائزة سنوية ؛ واسكن البحث لم يُجد شيئاً .

نزل نور الدين وجاريتته بغداد في وقت كان الربيع قد بدأ ، فجرى ماء الحياة في الأشجار ، ونشطت الطيور ، وتحسن الجو : فالأشجار مورقة ، والأزهار يانعة ، والنسيم عليل ، والماء جار سلسبيل .

وما زالوا سائرين في البساتين ، حتى اتبها إلى طريق بين بساتين تنتهى بباب مقفل ، وعلى جانبيه مصطبتان متقابلتان ؛ فخطر لهما أن يجلسا

على إحداها للراحة قليلا، ولكن التعب لم يمهلهما حتى أسامهما إلى نوم عميق .

وكان جلوسهما أمام بستان للخليفة هارون الرشيد ، نخرج بستانيه الشيخ إبراهيم ، فوجدهما نائمين ؛ فاستعجب مما رأى : رجل وامرأة نائمان على مصطبة أمام بستان الخليفة ! فأيقظ نور الدين ليسأله عن نفسه ، وعما أتى به . فأجابه في صوت محزون ، يمزق الألم قلبه : نحن غرباء قادنا السير على غير هدى إلى هذا المكان ، جلسنا في ضيافة نسيمة العطر ، وهدوئه الآمن ؛ فأخذتنا سنة من النوم حتى أيقظتنا .

فقال البستاني : ولن أكون أقل من الطبيعة إكراماً للزريب ، وعطفاً عليه ؛ قوما معى إلى هذا البستان الذى ورثته عن أبى — وقد أخنى عليهما أنه للخليفة حتى لا يمتنعا عن دخوله — فاستجابا لدعوته ، وصحبا إلى بستانه ، فرأيا فواكه وأعشابا ، وجنات ألفافا ، وأنهاراً جارية ، وطيوراً مغردة ، تمر بها مواكب النسيم الرخية ، فتغنى الطيور على إيقاع من تصفيق الأوراق ، وحفيف الأشجار ، وهى سكرى من نوافخ الأزهار .

وساروا جميعاً إلى قصر الخليفة الذى أقامه ليختلف إليه من حين إلى حين ، كلما أراد الراحة من أعباء الملك ومتاعبه ، وصعدوا فيه إلى إيوانه العلوى ، وكان به ثلاثون حجراً ، شكل سقف من سقفها قنديل مدلى ، وتدلّت من سقف الإيوان ثريات بها شمع معدة للإضاءة ، وفرشت أرضه بطنافس عجمية ، وصفت بجنباته السكراسى العاجية ، ذات المتعاهد



الوثيرة ؛ وتوسطت ساحته منضدة قوائمها من الأبنوس المطعم بالذهب والفضة ، هيئت لتكون مجلساً للمائدة ؛ جلسوا على الكراسى حولها ثم استأذنها الشيخ إبراهيم أن يحضر لهما ما تيسر من الزاد ، يسكتون به أطيب الأعماء ، ويؤدى به الواجب لضيوفه الكرام ؛ فلما أحضر الطعام أكلوا حتى شبعوا ، وشربا حتى رويأ .

وأنس نور الدين من الشيخ إبراهيم صدق الضيافة ، وإكرام الوفادة فطلب إليه شيئاً من الشراب ينسيه هو وجاريته ما ثار في خواطرهما من قاسى الماضى القريب . ففهم الشيخ إبراهيم أنه الخمر ، وقال : أعوذ بالله أن تكون لى يد فى إحضار شراب خبيث حرمه الله ؛ فقد أنكرته على نفسى منذ ثلاثة عشر عاماً ، وقد لعن النبى صلى الله عليه وسلم شاربها ، وعاصرها ، وحاملها .

فقال نور الدين : وإذا لم تكن واحداً منهم فهل تصيبك اللعنة ؟  
فقال : إذا لم أكن منهم فلن يضيرنى شىء .

فقال : خذ هذين الدينارين ، واشتر بهما خمرًا ، واحملاها على حمار من عندك ؛ وإذا ذاك لا تكون شارباً . ولا عاصراً ولا حاملاً .

فقهقه الشيخ إبراهيم وقال : ما رأيت أغرف منك شاباً ، ادخل هذه الحجرة وأحضر منها ما تشاء من صنوف الخمر التى أعدت لكبار الزائرين حين يفدون إلينا .

فبدت على وجه نور الدين وجاريته أمارات من خوف وقلق ،

فابتدرها الشيخ إبراهيم قائلا : ذلك بستان أمير المؤمنين ، وهذا قصره ، وأنا بستانيه ، ولا بأس عليكما فإنه لن يحضر إلا بعد ثلاث ليال ، فطيبا نفساً وقرا عينا ، وخذا حظكما في كنف هذا القصر العظيم .

فدخل نور الدين الحجرة ، فأدهشه ما رأى من أواني الذهب والفضة ، وأكواب يكاد يريقها يضيء ، فأحضر ما شاء صنوف الخمر وأكوابها ، ووضعها بينهم على المنضدة ، وجعلوا يشربان ، والشيخ إبراهيم ينف عن مشاركتهما على الرغم من إلحاح نور الدين عليه ، معتذراً بتوبته ، وإقلاعه عنها ، وزهده فيها ؛ لأنها متلفة للمال ، مضرة بالصحة ، مفسدة للدين ، مغضبة للرب ، منقصة للهيبية . مذهباً للعقل .

فجعلت الجارية تروضه ، وتؤلف نفسه ، وتغريه بشتى وسائل الإغراء ؛ حتى سلس قياده فشرب وعصى ، وتجرع الكأس الأولى ، فاستمر هواه ، وأتبعها ثمانية وثلاثة وكان على مذهبهما في احتسائها ، والرغبة فيها . ولما تحكمت في رءوسهم أجمعين استأذنت الجارية الشيخ أن توقد الشموع المصفوفة ، وتفتح الشبابيك المقفلة ، فقال : على أن يكون بعضها ، ولكنها لم تبق منها شيئاً ، فظهر الإيوان مفتحة شبابيكه ، موقدة شموعه ، فتم ذلك عن وجود أحد فيه .

وحانت من الخليفة وقتئذ التفاتة نحو بستانه ، فرآه يتألق نوراً ، وقد فتحت شبابيك إيوانه ؛ فهَمَّ ما رأى ، وتملكه عجب شديد ؛ لأنه لم يكن يجرؤ أحد غيره على أن يدخل قصره ، وقال : علىَّ بجمعفر البرمكي ؛

فذهب الخدم على عجل إلى دار جعفر ، وأخبروه أن الخليفة يطلبه ،  
ويستعجل حضوره فذهب إليه مسرعاً .

ولما مثل بين يديه أراه البستان وضوءه ، وسأله عن ذلك في غيظ ودهشة .  
فانبههم الأمر على جعفر ، ولكنه سرعان ما أسعفه قريحته ، فقال :  
لقد حدثني الشيخ إبراهيم منذ أسبوع أنه رغب أن يمتحن أولاده في  
ليلة فرحة مرحلة بقصر الخليفة ، فقلت له : إن أمير المؤمنين يسره أن تفرح  
بأولادك على أى وجه تريد ؛ فإنه يحبك ، ويمطف عليك كما يحب أبناء  
أُمته محبته لولده ، وسأعرض عليه أمرك ، ولكنني نسيت . وما أنسانيه  
إلا الشيطان أن أذكركه ، ولعله الآن في القصر فرح بأولاده .

فقال الخليفة : أخطأت حينئذ خطأين : أما أولهما فإنك لم تعلمنى ،  
وأما ثانيهما فلائك يسرت للشيخ إبراهيم أمره دون أن تعرف غرضه  
فأعرض ذلك عليك إلا تلميحاً بطلب شيء من المال ينفعه ، فلا أنت  
أعطيته المال ، ولا أنت أخبرتني حتى أمدّه بما يكفيه .

فقال جعفر : متع الله أمير المؤمنين بيقظته ، وحده ، وما أوقعتني  
في هذا إلا الدسيان .

فقال : وحق علىّ أن أفضى معه البقية الباقية من ليلته ، فهو رجل  
طيب ذاكر ، وأصحابه من الطيبين الذاكرين ؛ الذين يقضون جزءاً  
كبيراً من وقتهم في صلاة وعبادة ، ولعلّي أحظى منهم بالدعاء الخالص  
المستجاب ، فإنما يتقبل الله من المتقين .

فقال جعفر : إنهم الآن في نهاية ليلتهم يا أمير المؤمنين ، وقد نجدهم منفضين .

فقال الخليفة : مهما يكن من الأمر فلا بد من أن أذهب إليهم .  
وهب قائماً ، وسار ومعه جعفر ، ومسرور سيفه ، متنكرين  
في زى تجار من أهل تلك المدينة ، حتى كانوا بجوار القصر ، فقال  
الخليفة :

من رأى أر أصد في هذه الشجرة العالية ، المطلة على شبايك  
الإيوان ، فأراهم من حيث لا يرونى . وأقف على حالهم ، ثم نقرر ما نرى  
في كيفية الدخول عليهم ، والانتظام في ساكنهم . خاول جعفر أن يجعل  
الخليفة يكف عن الصعود على الشجرة ، ولكنه رأى منه إصراراً على أن  
يصعد ، فعرض عليه أن يصعد هو ويصف له ما يشاهد ، فأصر الخليفة  
على أنه هو الذى يصعد ، وخلع حذاءه وقبائه ، وصعد على الشجرة ،  
فماذا رأى ؟ !

رأى الخليفة نور الدين وجاريتته ، وما كاد يقع بصره عليها حتى بهره  
جمالها ، كما حيّره أن رأى الشيخ إبراهيم ممسكاً قدحاً من خمر في يده  
ويقول : يا ربة الحسن الرائع ، لا شرب من غير طرب !

ياربة الحسن والجمال ، املئى لى كأساً كبيرة ، وقدميها لى ييدك  
اللطيفة ، وغنينا صوتاً حلواً نشرب عليه ، فإن الخليل لا تشرب إلا  
بالصفير .



نزل الخليفة من فوره ، وقال لجعفر : اصعد مكاني من الشجرة ،  
وانظر كرامات الصالحين البررة .

فصعد جعفر ، ونظر ، فلم ير إلا ما رآه الخليفة ، ونزل مسرعاً في  
حيرة من أمره .

ثم وقفوا يستمعون ، فإذا بهم يسمعون الجارية تقول للشيخ إبراهيم :  
لو كان عندك آلة طرب اتم سرورنا بما تسمعه من شجى الغناء .

فقال الخليفة لجعفر : لن غنت ولم تحسن قتلهم وقتلتك معهم ، وإن  
أحسن الغناء قتلتك وعفوت عنهم .

فقال جعفر : اللهم لا تحسن غناءها .

فقال الخليفة : ولم ذاك ؟ !

فقال : حتى نتقل معاً إلى الدار الآخرة فيؤنس بعضنا بعضاً .

فضحك الخليفة ، على الرغم من عجيبة ودهشته مما رأى ، ومما سمع ،  
وانتظر ، يستمعون .

أسرع الشيخ إبراهيم إلى غرفة قريبة ، وأحضر منها عوداً ، وقدمه  
للجارية . فتناولته ، وأخذت تمرك آذانه ، وتعبت بأوتاره عبثاً خفيفاً ،  
حتى استقامت لها ، ثم عزفت ، ورفعت صوتها واندفعت تغنى ، في  
سكون الليل ، وهودء الطبيعة شعراً يذوب رقة ، ويسيل عاطفة وحناناً ،  
يصوره صوت عذب رقيق ، في نغم ندى جميل

فما كاد الخليفة يسمع صوتها وعزفها — حتى وقعت من قلبه موقعاً

عجيباً ، فإنه لم يملك أن تمايل تمايل الثمل ، وترنح كما تترنح الأغصان  
بمداعبة النسيم على نغمات الأطييار ، فلم يتمالك أن رفع صوته قائلاً :  
ما أحلى هذا الصوت وما أعذبه ! وما أجمل هذا الإيقاع وما أبده !

فقال جعفر : عسى أن يكون قد سُرّي عن الخليفة ، وذهب  
غيظه !

فقال : وأحب أن أكون معهم ليطول استماعي بتلك الجارية .  
فقال جعفر : أصبح الأمر يسيراً .

#### ( ٤ )

وكان قد مر بالبستان صياد يعرفه الخليفة يسمى كريماً ، فلما وجد  
بابه مفتوحاً تسلل منه إلى مكان على نهر دجلة ، كان الخليفة قد حرم على  
الصيادين أن يأتوا إليه ؛ وما كاد يهيئ الشبكة لإلقائها في البحر ؛ حتى  
كان الخليفة بجواره ؛ وذلك أنه سمع حركة ؛ فذهب إلى مصدرها  
ليقف على أمرها قبل أن يصعد إلى الإيوان .

رأى الخليفة كريماً الصياد في هذا المكان ؛ فقال له : ما جاء بك  
يا كريم إلى هذا المكان وفي هذا الوقت ؟

فلم يكد كريم يسمع الصوت ، ويتبين صاحبه ، ويعرف أنه الخليفة  
حتى ارتعدت فرائصه وقال :

يا أمير المؤمنين ، لم يكن محيى هنا عصياناً ولا خروجاً من طاعتك ،  
ولكنه الفقر والميلة .

فقال الخليفة : لا بأس عليك يا كريم ؛ ولكن هيا ، ألق شبكتك  
ولنا ما تخرج ، قليلاً كان أو كثيراً ، وخذهذين الدينارين .

ألقى كريم شبكته في النهر ، ثم جذبها إليه ، وأخرجها ، فإذا بها  
جادت بسماك كثير مختلفة أشكاله ، ففرح الخليفة بالسماك إلا أن تفكيره  
في مجلس الأنس المنعقد في قصره كان يملك عليه نفسه وشموهه ، وكان  
تفكيره في أن يحضر هذا المجلس ، ويجلس مع الشيخ إبراهيم دون أن  
يعرفه . فقال للصياد :

اخلع ثيابك وعماءك ، ثم لبسهما الخليفة ، وأعطاه بدلاً منهما  
ثياباً من الحرير .

وما لبس الخليفة ثوب الصياد حتى لسمته قلة في قفاه ، فمد يده  
وتجسس مكانها ، حتى قبض عليها ، وألقاها على الأرض ؛ ثم قال :

إن ثوبك يا كريم به قمل كثير

فقال كريم : سنسكن إليه ياسيدى وتحتمل لسمه صابراً بعد أسبوع .  
فضحك الخليفة وأذن له أن ينصرف ، فشى داعياً شاكراً .

وضع الخليفة السمك في قفة الصياد ، وحملها ، وذهب إلى جعفر  
متلماً متسكراً في زى الصياد فلما رآه جعفر قال : ما جاء بك هنا يا كريم ؟  
أسرع وانج بنفسك قبل أن يراك الخليفة .



فضحك الخليفة ضحكة شديدة عالية استبان منها جعفر صوت الخليفة ونبراته .

فقال جعفر : لملك مولانا أمير المؤمنين ؟ !

فقال الخليفة : وما دمت لم تعرفنى فى هذا الزى ، فإن الشيخ إبراهيم لا يعرفنى ؛ فالزم مكانك حتى أعود إليك .

فقال جعفر : سمعاً وطاعة ؛ ولكن أرجو أن يحتاط سيدى لنفسه ، ويصطحب معه مسروراً السيف فلعل فى الأمر شيئاً ، أو لعل هول المفاجأة يجعل واحداً من هؤلاء يفكر فى أمر خطير .

فضحك الخليفة وربت على كتف جعفر وداعب لحيته وطمأنه على نفسه ، وانحدر مسرعاً إلى باب القصر وطرقه ، فجاءه الشيخ إبراهيم قائلاً : من بالباب .

فقال الصياد : أنا كريم جئتكم بسمك كثير تكرم به ضيوفك . وكان نور الدين وجاريتته يحبان السمك ؛ فلما رأياه مع الصياد ، قال : لو كان مقلياً .

فقال الصياد : أنا مستعد يا سيدى أن أقليه ، وأعود من فورى ، ونزل به إلى جعفر ، وقال له : أرادوا السمك مقلياً ، فهيا بنا إلى خص الشيخ إبراهيم .

وهناك وجدا ما يحتاجان إليه من زيت ووقود وأوانى ؛ فأورد جعفر النار وغسل الأوانى ، ونظف الخليفة السمك ، وقطعاه معاً ، وخطا به

التوابل وقلياه . ثم حملة الخليفة على ورق الموز ، وأخذ معه ليمونا من  
البيستان ، وصعد به إليهم . فأكلوا هنيئاً ، ومد نور الدين يده بثلاثة  
دنانير إلى الصياد قائلاً : لو عرفتك قبل أن يصيبني ما أصابني لأغنيتك  
من فقرك ، ولكن الجود من الوجود ، فتقبلها الملك ، ووضمها في جيبه  
داعياً له ، ثم قال له : لو تفضلت عليّ بسماع أغنية من هذه الجارية كنت  
لك خير شاكر ، وكنت أكرم متفضل . فلما سمعت الفتاة ذلك تناوات  
العود وغنت :

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر  
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر  
ولما رأى نور الدين أن الصياد طرب طرباً عظيماً ، قال له : هل  
أعجبتك الجارية يا هذا ؟

فقال : إي وربّي

فقال نور الدين : هي هبة مني لك ؛ هبة كريم لا يرجع .  
ولكن الخليفة أدرك بحسه أن ألماً في نفسه ، ما يحاول أن إخفاه ،  
فقال : أحب أن أعرف شأنكم لو تكرمتم .

فقص عليه نور الدين تاريخه ، وما جرى له . فقال الخليفة : وأين  
تذهب الآن ؟

فقال : أرض الله واسعة .

فقال الخليفة : سأكتب ورقة تأخذها إلى السلطان محمد الزيني ،



فإذا قرأها كنت منه بمنزلة الأخ الذي يستمتع بنعمة أخيه وولائه .  
فقال نور الدين : وكيف يكتب صياد إلى ملك فيستمع لقوله ،  
ويستجيب لإشارته .

فقال الخليفة : الأمر فوق ما تقول ؛ فقد كنا أخوين نتعلم في مكتب  
واحد ؛ وكنت أنا عريفه ، ثم أسعده الحظ فكان ملكا ، وكباني فكنت  
صيادا ؛ ولكنه لا يزال يذكر عهد الأخوة ، فلا أكتب إليه في حاجة  
إلا قضاها .

فقال نور الدين : اكتب وسننظر ما يكون ، فكتب الخليفة :  
من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى محمد بن سليمان الزيني عامله على  
البصرة ؛ السلام عليك ورحمة الله .  
أما بعد ؛ فإذا جاءك كتابي هذا فاعزل نفسك ، وليجلس حامله  
مكانك .

ثم سلم الكتاب إلى نور الدين ، فوضعه في عمامته ، وذهب إلى  
البصرة .

ولما تسلم الزيني الكتاب قال : سمعا وطاعة لأمر المؤمنين . وأحضر  
القضاة والوزراء ومن بينهم الوزير المعين بن ساوى ، وأعلن أنه يريد أن  
يخلع نفسه نزولا على أمر الخليفة ، وناولهم الكتاب ؛ ولما وقع في يد  
المعين بن ساوى مزقه ، وقال : كيف تخلع نفسك بورقة أحضرها غر  
أحق مثل هذا الشاب — وأشار إلى نور الدين — إن هذا زور وبهتان ،

ولو كان من عند الخليفة لأرسل معه رسولا من عنده .

فقال الزينى : وماذا تفعل ؟

فقال الوزير أن تسلم لى هذا الشاب ، لأرسله مع حاجبى إلى بغداد ،  
لنتبين الأمر .

فقال الزينى : خذه وافعل ما تشاء .

فسامه الوزير إلى سجان يقال قطيط ، وأوصاه أن يصب عليه ألوان  
العذاب صبا ؛ فقال قطيط : سأجعله يطلب الموت من قسوة ما يحل به .  
قال قطيط هذا أمام المعين بن ساوى ، ولكن فضل نور الدين وأبيه  
لا يزال يعمره ، فلم تطاوعه نفسه أن يعذب نور الدين أو يقسو عليه ،  
ولكنه أكرمه ، وأحسن إليه على غير علم من الوزير أربعين يوما ؛ وفى  
اليوم الحادى والأربعين سأل الوالى الوزير عن نور الدين ، وعما تم فى  
مسأله ؛ فقال : لقد مضى أربعون يوما ، والتجار بين البصرة وبغداد  
لا يزالون غادين راحمين ، ولم نسمع منهم شيئا عما قرأناه فى ذلك الكتاب  
الذى كان يحمله ، ومن رأى أن نقتله ، جزاء خيائته وكذبه .

فقال الوالى : أحضره ، ونفذ فيه حكم الإعدام ،

فأجابه الوزير : حتى نذيع بين الناس ذنبه ، وندعوهم يشهدون قتله .

فقال الوالى : افعل ما تشاء

وانتشر المنادون فى البصرة ينادون أن احضروا يوم كذا فى ساعة  
كذا إلى الميدان الكبير ، لتشهدا وقتل نور الدين ؛ جزاء اقترافه جريمة

التزوير في كتاب أمير المؤمنين ، وإحضار كتاب مزيف ، يزعم فيه أن الخليفة عزل واليكم الأمير ، وعينه بدله .

ففرغوا لهذا النبأ ، وغرقوا في حزن أليم ، ولم يؤلمهم أن نور الدين زور على الخليفة كتاباً ، لأنهم لم يصدقوا ذلك ؛ بل آلمهم ، وضائقهم ، أن يقتل نور الدين ، وهو ابن وزيرهم الذي أحبهم وأحبوه ، وسهر على مصالحهم .

وفي الموعد المضروب هرع الناس إلى الميدان التكريين ، وكانوا بين باك وواجم ، داعين الله أن يسخر لهذا المظلوم من ينجيه من يد الظالم ونفيه . .

أما نور الدين فقد أسلم وجهه إلى الله ، ودعاه أن يرد عنه كيد الكائدين ، ويبين للناس في أمره الحق من الباطل .

وبينا ينتظر الناس أمر الوالي بضرب عنقه ، إذ رأى من نافذة قصره غباراً كثيفاً يصعد في السماء ، ويدنو من البصرة شيئاً فشيئاً ، فأمر أن يرجأ تنفيذ الحكم في نور الدين حتى يستبين أمر هذا الغبار . وكان هذا الإرجاء على غير هوى ولا رغبة من الوزير المعين بن ساوى .

كان هذا الغبار لجعفر البرمكي وزير الخليفة ومن معه من الجنود ، وذلك أن الخليفة مر على حجرة أنيس المجلس ليلة من الليالي ، فسمعها تبكي وتذكر أن خياله لا يفارقها في نوم ولا في يقظة ، وأن ذكره على لسانها ، لا تسكت عنه .

فدخل عليها مقصورتها ليسألها عن سبب بكائها ، فلما رآته وقفت  
حجبية ، ثم أنشدت :

أيام من زكا أصلا وطاب ولادة      وأثر غصنا يانما وزكا جنسا  
أذكرك الوعد الذي سمعت به      محاسنك الحسنى وحاشاك أن تنسى  
فقال الخليفة : من أنت ؟

فقالت : هدية نور الدين إليك ، وأرجو أن تنجز وعدك فترسانى  
البصرة إليه؛ فقد مضى على قرابة شهرين لم أذق فيهما النوم إلا غرارا ، حسرة  
على فراقه ؛ فأمر أن يحضر إليه جعفر ، فلما جاءه قال : مضى زمن ونحن  
لم نعلم عن نور الدين ما تم فى شأنه ، ولعلهم قتلوه ، ورب الكعبة انى  
كان قد قتله أحد لأقربائه ، فسافر إلى البصرة واثنتى بخبره .

فلما حضر جعفر ، وجد زحمة وهرجا ومرجا أمام قصر الوالى ، فسأل  
عن سببها ، فأخبروه أمر نور الدين ، فأسرع إلى الوالى وأيد صدق  
كتاب نور الدين ؛ ثم عزله ، وولاه مكانه ، وأمر بالقبض على الوزير  
المعين بن ساوى .

تنفس الناس الصعداء ، واستراحت نفوسهم ، واطمأنت ضائرتهم ،  
وحمدوا لله زعماءه ، وللخليفة صنيعه وإحسانه ، وأشرقت وجوههم فرحا  
وغبطة ؛ وبعد ثلاثة أيام ، سافر جعفر إلى بغداد ومعه الوالى المخلوع ،  
ووزيره المقبوض عليه ونور الدين بن الفضل ، وهناك قص على الخليفة  
القصة ، فأعطى نور الدين سيفاً ، وأمره أن يضرب عنق الوزير الآثم :

المعين بن ساوى ، فلما أقبل عليه ليحز رقبتة ، قال له الوزير : كل منا يعمل على شاكلته ، وإنى ألتجأ منك إلى طبعك الكريم ، فألقى السيف من يده معتذراً أنه لن يستطيع قتله بيده .

فأمر الخليفة مسروراً أن يضرب عنقه ، فأطار رأسه في التّو عن جسمه . ثم التفت الخليفة إلى نور الدين سائلاً عن حاجة يريدها في نفسه ، فقال : ليس لى حاجة إلّا أن أسمد بجوارك ، وأبقى في كنفك ، فقال : لك ذلك ، وأسكنه وجاريتته قصرأ من قصوره ، وأجرى عليهما نعمة السابغة ، حتى واثما الأجل المحتوم .

وكذلك يجزى الله الظالمين ، ويدافع عن المؤمنين المخلصين .





## الأحذب والخياط

( ١ )

كان في مدينة البصرة خياط غني، اعتاد أن يخرجَ بزوجه إلى  
المنزهات، لاجتلاء مباحج الطبيعة.

وذات يوم وهما راجعان من نزهة خلوية، رأيا في طريقهما رجلاً  
أحذب، شكله يضحك الحزين، فأخذاه إلى منزلهما، ليكون مُحكماً  
لهما تلك الليلة القادمة، وكانت الزوجة قد أعدت سمكاً وليمونا وخبزاً،  
لتناولِه وقتَ العشاء.

فلما جلسوا حول المائدة يأكلون، ناولتِ الزوجةُ الأحذبَ قطعةً

من السمك ، وأقسمت عليه أن يبتلعها ، دون أن يمضغها ، وكان فيها شوكة صلبة على غير علمٍ منها ، فوقفَت في حلقه ، وغصَّ بها غصةً حادةً ، وكانت سبب وفاته .

فَحَزِنَ الخياط وقال :

حفظنا الليلة عابس أسود ، وكيف نخالصُ من هذه الورطة ؟ !

فقالت زوجته : مالك قد اضطربت ، والمسألة في غاية السهولة ؟ !  
قُم واحمله على كتفك ، كأنه ابنك ، وأنا سائرة من ورائك ، واذهب به إلى الطبيب اليهودي في شارع البحر ، وهناك ننتظر الفرج ، فإمَّا عاجله وإمَّا خلصنا منه بأية وسيلة .

ولما طرَق باب الطبيب نزلت إليه جارية سوداء ، وفتحت الباب وقالت : ماذا تريدون ؟

فناولت زوجة الخياط الجارية رُبع دينار وقالت :

ولدى الصغير مريض ، فبُني الطبيب أن ينزل لفحصه ، وعمل الدواء اللازم له .

فصعدت الجارية لتبليغ الطبيب الخبر .

وفي أثناء ذلك أمرت الزوجة الخياط أن يترك الأحدب داخل الدَّار ، ويرجعا مُسرعين ، ففعلَ الخياط ما أشارت به ، وعادا إلى منزلهما سالعين ...



فَرِحَ الْيَهُودِيُّ بُرْعَ الدِّينَارِ ، وَنَزَلَ مُسْرِعًا إِلَى الْمَرِيضِ ، دُونَ أَنْ يَأْخُذَ مَعَهُ مِصْبَاحًا يُنِيرُ لَهُ الطَّرِيقَ ، وَأَمَرَ جَارِيَتَهُ أَنْ تَلْحَقَهُ بِمِصْبَاحٍ ، فَدَاسَ الْمَرِيضُ بِقَدَمِهِ ، وَلَمَّا تَبَيَّنَتْهُ عَلَى ضَوْءِ مِصْبَاحِهِ وَجَدَهُ قَدْ مَاتَ ، فَأَصَابَهُ غَمٌ عَظِيمٌ ، وَحَمَلَهُ إِلَى زَوْجَتِهِ ، لِيُطْلِعَهَا عَلَى خَبَرِهِ ، وَتُشِيرَ عَلَيْهِ بِمَا يَفْعَلُهُ ، فَقَالَتْ :

إِنْ سَكَنَّا إِلَى الصَّبَاحِ ضَاعَتْ أَرْوَاحُنَا بِسَبَبِهِ ، وَجَارُنَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ ، مُبَاشَرٌ مَطْبُحُ السُّلْطَانِ ، وَسَطْحُ مَنْزِلِهِ مَأْوَى لِكَثِيرٍ مِنَ الْقِطْطِ وَالْكَلَابِ ، فَإِذَا أُلْقِيَاهُ عَلَى سَطْحِ مَنْزِلِهِ فَقَدْ لَا تَعْضَى لَيْلَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ ، حَتَّى تَكُونَ الْكَلَابُ وَالْقِطْطُ قَدْ أَكَلَتْهُ .

فَفَرِحَ الْيَهُودِيُّ بِهَذِهِ الْحِيلَةِ ، وَأُلْقِيَاهُ عَلَى سَطْحِ الْمَنْزِلِ ، وَتَخَلَّصَا مِنْ هَذَا الْقَتِيلِ ، وَفَازَ الْيَهُودِيُّ بُرْعَ الدِّينَارِ .

وَاتَّفَقَ أَنْ جَاءَ الْمُبَاشِرُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَأَخَذَ شِمْعَةً مُضِيئَةً فِي يَدِهِ ، وَصَعَدَ بِهَا إِلَى سَطْحِ مَنْزِلِهِ ، لِشَأْنٍ مِنْ شَأْنِهِ ، فَوَجَدَ الْأَحْدَبَ نَائِمًا ، فَظَنَّهُ لَصًا اعْتَادَ أَنْ يَسْرِقَ دُهْنَهُ وَلَحْمَهُ ، فَوَكَّرَهُ بِعَصَا فِي يَدِهِ ، وَلَمَّا لَمْ يَتَحَرَّكَ أَقْبَلَ عَلَيْهِ مُقْبِلَةً ، فَوَجَدَهُ قَدْ فَارَقَ الْحَيَاةَ ، فَظَنَّ أَنَّ مَوْتَهُ بِسَبَبِ ضَرْبَتِهِ فَقَالَ :

لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، سَتَرَكَ الْجَمِيلُ يَارَبِّى ، ثُمَّ حَمَلَهُ وَطَرَحَهُ بِجُحُورِ حَائِطٍ فِي الشَّارِعِ الْعَامِ وَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ .

وَخَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ نَصْرَانِيٌّ يَقْصِدُ الْحَمَّامَ ، وَكَانَ

السُّكْر لا يزالُ قوياً في رأسِهِ ، ولما وَقَعَ نَظْرُهُ على الأَحْدَبِ ، توَهَّم أَنَّهُ مترَبِّصٌ لِإِيْدَانِهِ ، وَخَطَفَ عِمَامَتَهُ ، على نَحْوِ ما يَفْعَلُ الصَّبِيانُ بِهِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ يَضْرِبُهُ وَيَضْرِبُهُ ، وَيُنَادِي حَارِسَ سُوقِ الْمَدِينَةِ كَأَنَّهُ يَسْتَفِثُ بِهِ ، فإِذَا حَضَرَ وَجَدَهُ بَارِكاً فَوْقَهُ ، يَضْرِبُهُ تَارَةً ، وَيُخَنِّقُهُ تَارَةً أُخْرَى ، وَلَحَظَ الْحَارِسُ أَنَّ الأَحْدَبَ لَا يَتَحَرَّكُ فَنَحَى عَنْهُ النَّصْرَانِيَّ ، وَقَلَبَ الأَحْدَابَ فَوَجَدَهُ مَيْتاً ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُحْمَلَ إِلَى بَيْتِ الْوَالِي ، حَيْثُ يَلْقَى جَزَاءَهُ .

وفي الصباحَ نظرَ الوالى قضيةَ الأَحْدَبِ ، وَحَكَمَ على النَّصْرَانِيَّ بِالْإِعْدَامِ شَنْقاً ، بِحَيْثُ يَكُونُ تَنْفِيذُهُ على مَشْهَدٍ مِنَ النَّاسِ . وَقَبْلَ أَنْ يُطَوَّقَ عُنُقُهُ بِالْجُبُلِ لَشَنْقِهِ ، سَمِعَ صَوْتَ قَادِمٍ بِشَقٍّ يَجْمَعُ النَّاسَ وَيَقُولُ :

لَا تَقْتُلُوهُ ، وَإِذَا بِهِ الْمُبَاشِرُ ، وَلَمَّا وَقَفَ أَمَامَ الْوَالِي قَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ ، فَحَكَمَ عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ لِاعْتِرَافِهِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يُقْتَلَ ، لِأَنَّ الْيَهُودِيَّ حَضَرَ إِلَى الْوَالِي وَاعْتَرَفَ بِأَنَّهُ الْقَاتِلُ ، فَانْتَقَلَ الْحُكْمُ بِالْقَتْلِ مِنَ الْمُبَاشِرِ إِلَيْهِ ، وَمَا كَادَ رِجَالُ الْوَالِي يَشْرَعُونَ فِي تَنْفِيذِ حُكْمِ الإِعْدَامِ حَتَّى جَاءَ الْخِيَاطُ ، فَفَنَى جَرِيمَةَ قَتْلِ الأَحْدَبِ عَنِ الْيَهُودِيَّ ، وَنَسَبَهَا إِلَى نَفْسِهِ ، فَأَصْبَحَ الْمَسْئُولُ الْأَخِيرَ ، الَّذِي يَنْفُذُ فِيهِ حُكْمَ الإِعْدَامِ .

وَكَانَ الأَحْدَبُ نَدِيمَ الْمَلِكِ ، وَلَمَّا غَابَ عَنْ مَجْلِسِهِ سَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ إِنَّهُ مَاتَ ، وَتَلَيْتُ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ ، وَكَانَ الْخِيَاطُ لَا يَزَالُ حَيًّا لَمْ يُقْتَلَ ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ فِي الْحَالِ أَنْ يُؤَجَّلَ الْقَصَاصُ حَتَّى يَنْظُرَ هُوَ نَفْسَهُ الْقِصَّةَ ، فَفَعَلَ

الأحدبُ إليه ، وسبق الحياطُ واليهودى والمباشر والتصرائى إلى مجلسه ،  
وحكى كلُّ منهم ما حصلَ منه ، فالتفتَ الملكُ إلى الحاضرين وقال :  
هل سمِعتم شيئاً عجيباً كهذا ؟ فقال النصرائى : **إِنْ أَذِنَ لِي الْمَلِكُ**  
**حَكَيْتُ أُعْجِبَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ** ، فأذنَ له ، فقال :

**أَنَا قِبْطِيٌّ** ، ولدتُ بِمَصْرَ ، ونشأتُ فيها ، وكان والدى وسيطاً  
« سمساراً » فلما تُوفِّى كُنْتُ وسيطاً بذله .

وذاتَ يومٍ جاءنى شابٌ رَاكِبٌ حِمَاراً ، وهو أَحْسَنُ مَا يَكُونُ  
خَلْقاً ، وَأَفْخَرُ ثِيَاباً ، فَأَعْطَانِي مَنَدِيلًا فِيهِ مِقْدَارُ مِنَ السَّمْسَمِ ، وسألني عن  
ثَمَنِ الْإِرْدَبِ مِنْهُ ، فقلتُ : ثَمَنِ الْإِرْدَبِ مِنْ هَذَا السَّمْسَمِ مِائَةٌ دِرْهَمٌ ، فقالَ :  
بعتُ بهذا الثَّمَنَ ، فإذا جاءَ الغَدُ فَأَتِنِي وَمَعَكَ الْكِتَالُونَ ، فِي الْخَلَانِ  
الْجَوَانِي يَبَابِ النَّصْرِ ، وتركَ معي المنديلَ وما فيه ، لأَعْرِضَهُ عَلَى التَّجَارِ ،  
فبَلَغَ ثَمَنِ الْإِرْدَبِ مِائَةً وَعَشْرِينَ دِرْهَمًا .

ولما جاءَ الغَدُ ذَهَبْتُ أَنَا وَالتَّاجِرُ وَالْكِتَالُونَ إِلَى هَذَا الشَّابِّ فِي  
الْمَكَانِ الْمُعَيَّنِ ، واشتَرَيْنَا جَمِيعَ مَا فِي خَزَانِهِ ، وكانَ خَمْسِينَ إِرْدَبًا ، ثم  
قالَ الشَّابُّ لِي : احْفَظْ ثَمَنِ السَّمْسَمِ عِنْدَكَ أَمَانَةً لِي ، وَلَكَ عَلَى كُلِّ  
إِرْدَبِ عَشْرَةُ دِرْهَمٍ ، فبَلَغَ رُبْحِي مِنْ تِلْكَ الصَّفَقَةِ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَخَمْسِمِائَةٍ ،  
ثُمَّ ودَعْتُهُ وَانصَرَفْتُ مَسْرُورًا .

وكانَ الشَّابُّ يَأْتِينِي كُلَّ شَهْرٍ ، فَأَعْرِضُ عَلَيْهِ ثَمَنِ السَّمْسَمِ لِأَخْذِهِ ،  
فلا يَرْضَى وَيَقُولُ : احْفَظْهُ لِي أَمَانَةً عِنْدَكَ . وفي زيارته الرَّابِعَةِ لِي

أَقْسَمْتُ عَلَيْهِ أَلَّا يُفَارِقَنِي ، حَتَّى يَنْتَاقِلَ الْعَدَاءُ مَعِي ، فَقَالَ :

عَلَى أَنْ يَكُونَ ثَمَنُ غَدَائِنَا مِمَّا عِنْدَكَ لِي مِنَ التَّقُودِ ، فَقَالَتْ : ذَلِكَ لَكَ ، وَلَمَّا حَضَرَ الطَّعَامُ وَجَدْتُهُ يَأْكُلُ بِيَدِهِ الْيُسْرَى ، فَاتَنَتَرْتُ حَتَّى أَكَلْنَا وَشَرَبْنَا ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ :

لَأَيِّ شَيْءٍ أَكَلْتَ بِيَدِكَ الْيُسْرَى ، فَأَخْرَجَ لِي يَدَهُ الْيُمْنَى مِنْ كُمِّهِ ، فَإِذَا هِيَ مَقْطُوعَةُ الْكَفِّ ، فَقَالَتْ هَلْ ذَلِكَ مِنْ سَبَبٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَسَأَقْصُهُ عَلَيْكَ .

قَالَ الشَّابُّ : إِنَّ وَالِدِي مِنْ أَكْبَرِ بَغْدَادَ ، وَقَدْ نَشَأْتُ فِيهَا نَشَأَةً كَرِيمَةً ، وَعَرَفْتُ كَثِيرًا مِنْ مَزَايَا مِصْرَ ، لِكَثْرَةِ مَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ مِنَ التَّجَارِ ، فَأَحْبَبْتُ السَّفَرَ إِلَيْهَا ، وَلَمَّا تَوَفَّقِي وَالِدِي جَمَعْتُ كَثِيرًا مِنْ أَصْنَافِ الْمَسْجُوجَاتِ الْبَغْدَادِيَّةِ وَالْمَوْصِلِيَّةِ ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْبَضَائِعِ النَّفِيسَةِ ، وَسَافَرْتُ بِهَا إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَأَنْزَلْتُ بِضَاعَتِي هَذِهِ فِي خَانِ سُرُورَ ، وَبَعْدَ لَيْلَةٍ مِنْ قُدُومِي ، أَخَذْتُ بَعْضًا مِنْ بِضَاعَتِي إِلَى قَيْسَرِيَّةِ جَرَجِسَ ، فَلَمْ يَبْلُغْ ثَمَنُهَا رَأْسَ مَا لَهَا . فَأَشَارَ عَلَى شَيْخِ الْوُسْطَاءِ « السَّمَّاسَةِ » أَنْ أُرِيحَ نَفْسِي ، وَأَبِيعَ بِضَاعَتِي جَمِيعَهَا إِلَى التَّجَارِ ، عَلَى أَنْ أَخْذَ ثَمَنَ مَا يَبَاعُ مِنْهَا عَلَى دَفْعَاتٍ ، مُوعِدًا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ مِنْ كُلِّ أُسْبُوعٍ ، وَبِذَلِكَ اسْتَفِيدَ رَاحَتِي وَأَتِمَّكُنْ مِنَ التَّنَقُّلِ فِي الْقَاهِرَةِ ، لِمُشَاهَدَةِ مَبَانِيهَا وَأَثَارِهَا وَمُظَاهِرِ حَضَارَتِهَا ، وَأَكْسَبُ مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ رِبْحًا عَظِيمًا ، عَلَى نَحْوِ مَا يَفْعَلُهُ التَّجَارُ الَّذِينَ يَأْتُونَ مِصْرَ مِنَ الْأَقَالِيمِ الْأُخْرَى ، فَفَقَدْتُ إِشَارَتَهُ ،

وجعلتُ أذهبُ إلى دكا كين التجارِ في هذين اليومين ، لأخذَ منهم ما يجمعوه من ثمنِ بضاعتي .

وجلسْتُ مرةً في دكانِ بدر الدين البستاني ، فجاءتُ فتاةً جميلةً ، وطلبتُ منه بعضَ الملابسِ الحريرية ، المطرزةً بالذهب ، واختارتُ منها ما أعجبَ ذوقها لَوْنًا وجودةً ، وقالت للتاجر :

سأخذُ هذهَ الملابسَ وأرسلُ إليك ثمنها مع جاريتي حسبَ عادتي ، فقال :

لا بُدَّ من دفعِ الثمنِ فوراً ، لأنني مُضطر إلى ثمنها اليوم ، لأعطي صاحبها هذا — وأشارَ إليَّ — ما علىَّ له من أقساطٍ ، ففضيتُ ورميت البضاعةَ من يدها وقالت :

هذه عادتكم يا تجار ، لا تُقرُّون بين الزبائن ، ولا تُحافظون على أقدار الأشرافِ منهم . ثم قامت

فأحييتُ أن أعرفَ مكاتبها من الشرفِ الذي تدعيه ، وعرضتُ عليها الجلوسَ فجلستُ ، وأعطيتها البضاعةَ التي اختارتها قائلاً :

خُذِي البضاعةَ وأرسلِي ثمنها متى شئتِ ، فشكرتُ لي هذا الجليل ، وأخذتها وانصرفت ، ثم سألت التاجرَ بدر الدين عنها بعدَ انصرافِها فقال :

هذه بنتُ أميرٍ ، ماتَ والدُها ، وتركَ لها أموالاً كثيرةً ، فرغبتُ في زواجها ، بعدَ الاطمئنانِ على أخلاقِها وحسنِ سلوكِها ، ومقدارِ تديُّنها .

وجلسْتُ ثانیَ یومٍ فی هذا الدُّکانِ مُنتظراً ما سیکون ، فجاءت الفتاةُ



ومعها جاريتها، وسلمت علينا وأعطتني ثمن البضاعة التي اشتريتها بالأمس،  
وحاولت أن أترك لها الثمن هدية فلم تقبل وقالت :

لا ينبغي أن تقبل صبيةً مثلي من شابٍ مثلك هديةً قد تكون سبباً  
في أن يتحدث الناس عنا بما نكره . فقلت لها :

ربما جعلتها سبباً لغرضٍ شريف كالزواج مثلاً ، فقالت : إن الزواج  
الذي يشتري بالهدايا حياته قصيرة ، وخاتمته فرقةٌ بغيضة ، وفي استطاعتي  
أن أشتري بمالي أو بحالي أزواجاً كثيرين ، لا زوجاً واحداً ، ولكن  
المرأة الصالحة دينٌ وخلقٌ ، فزادني هذا الحديث تشبهاً بالزواج منها وقلت :  
ولقد رغبتُ الآن في زواجكِ ، فإذا تقواين ؟ فقالت : لقد درستك  
وخطبتك لنفسى قبل أن تدرسى وتخطبني لنفسك ، وأرجو من الله أن  
يجمعه لنا خيراً وبركة ، فسألتها عن بيتها فقالت : في درب المنقري  
بالحُبانية ، فإن شئت فأحضر معك المأذون والشهود ، ومن تشاء من  
معارفك وأصحابك ، وموعدهُك ليلة الجمعة القادمة . فاتفقنا على هذا  
وسلمت وانصرفت .

وعشنا زوجين متحابين أكثر من ثلاث سنوات ، وبينما أنا سائرٌ  
في شارعٍ من شوارع القاهرة ، رأيتُ جمعاً من الناس في صَوْناء ، ومن  
حول شابٍ محكومٍ عليه بقطع يده ، لأنه سرق أسورة من سيدة  
وأدهشني أن هذا الشاب السارق يُشبهني في صورته ، وأنا رأيتُ بعيني  
سيدة في هذا الجمع سرقَت من أخرى أسورة ، وكنت أستطيع أن أُبته

المسرورة، فأرشد إلى السارقة، ولكنى لم أنطق بكلمة واحدة، وبعد لحظة وجدتُ جمع الناس هذا يجرى فى ناحية، فجريت معه محاكاة له، وإذا بجندى يقبض على يدي ويصيح: قد وجدته، فوقف الجمع، والتفت بقية الجند حولي، وساقوني إلى حيث تُقطع يدي، بدلاً من الشاب السارق الهارب، الذى صورته تُشبه صورتي ولكنهم لا يعمون، وأعتقد أنى لو نهبتُ إلى سرقة الأسورة، ما وقعتُ فى هذه المصيبة. وتلك حادثة قطع يدي. فقال الملك: لا يزال الموت قريباً منكم، فقال المباشر: أياذن لى الملك أن أحكى حادثة غريبة، فإن أعجبتك عفوت عنا؟ فقال: أسمعنا تلك الحادثة الغريبة. فقال المباشر:

حصرت ولية لبعض أصحابي، وكان على السباط كثير من أصناف الطعام، ومنها طعام الزر رباحة، وكانت لذينة الطعم، فأكلنا جميعنا منها إلا واحداً، فإنه امتنع عن أكلها وقال: سأقص عليكم سبب امتناعي، وشرع يقول:

كان لزيدة زوج هارون الرشيد جارية تُحبها، وشاء الله أن أتزوجها، وفى ليلة الدخول بها أكلت زرباجة، ونسيت أن أغسل يدي منها، فلما شمت رأتحتها صرخت صرخة عالية، فحضرت جوارىها سائلات قائلات: ماذا جرى يا سيدتنا؟

فقالت: هذا الشاب الأحق أكل زرباجة ولم يغسل يده. فاذهبوا به إلى سياف القصر ليقتله.

فقال كبرى الجوارى وكانت عاقلة معروفة بحُسن التدبير: لقد حَرَّمَ الله قتل النفس إلا بالحق . فقالت اقطعن يده .

فقال كبرى الجوارى : ولا تقطع يدُ إلا في قصاص أو سرقة : فقالت اقطعن إبهام يده ، وإلا قتلت نفسى ، فذهبن بي إلى السيف وقطع إبهام يدي اليمنى ، بسبب الزرباجة ، فأقسمتُ بعد ذلك ألا أذوقها ما دُمْتُ حياً . فقال الملك لا أجد عفوى عنكم قريباً منكم . فقال اليهودى : عندي حكاية أغرب وأعجب . فقال : هات ما عندك .

فقال اليهودى : كنت يوماً في الكنيسة ، فوجدت شاباً يبكي بكاء مُراً ، فأقبلت عليه ، وسألته عن سبب بُكائه فقال :

تزوجت بنت غنى من الأغنياء ، وعشتُ معها في نعيم ورخاء ، حتى رُزقتُ منها بولد جميل ، وكان لها زوجةٌ أب عقيم فغارت منها وأخذت الولد وأدعت أنه ابنها بحيلة غريبة . فقلت وما تلك الحيلة ؟ فقال : حينما ظهر الحمل في زوجي ادعت زوجة أبيها أنها حاملٌ أيضاً ، واعتكفت في بيتها حتى لا يفتضح أمرُها ، واتفقت هي وبعض جوارىها أن يكون وضعها ليلة وضع زوجي ، على أن يسرقن ما تلده زوجي إليها ، لتدعيه لنفسها ، وذلك حرصاً منها على ثروة زوجها ، حتى تفوز بأكبر نصيب منها ، وقد نفقت ما دبرت ، وفقدت ولدى ، ولم يبق لي ولزوجي إلا الحزن والبكاء ، فقلت : وكيف عرفت ذلك ؟

فقال : من جوارىها جاريةٌ متدينة ، كُبر عليها أن تسكت عن هذه

الخطيئة ، فأخبرني بها بعد أن عاهدتها ألا أبوح باسمها ، ولست واجداً من يساعدي في إرجاع الولد إلى أبيه وأمه ، فقلت له إن الله لا يدع الظالم في ظلمه ، وهو إن أمه له فلن يمهله ، حتى إذا أخذه لم يفلقه . فقال الملك لا يزال الغيظ منكم يملأ صدري

فقال الخياط : سأسمع الملك أعجب شيء سمعه ، إن أذن لي بذلك ، فقال : قل ما شئت ، فإن أعجبني عفوت عنكم . فقال :

كنت في وليمة عند أحد أصحابي ، فدخل علينا صاحب الدار ومعه شابٌ جميلٌ أعرج ، فاستعدت جميعنا لحسن استقباله ، إشفافاً على عرجه ، ولكنه عاجلنا بقوله : استريحوا فإني خارجٌ ، ولن أجلس معكم ، ولن أقيم في مدينتكم ، فأحببنا أن نقف على حاله ، ونعرف سبب نفوره وغضبه ، وأقسمنا عليه أن يجلس ويحكي لنا حكايته .

فقال : كرهت الجلوس معكم ، والمقام في مدينتكم بسبب هذا المزين — وأشار إليه — وقد عاهدت نفسي ألا أجمعني به مكاناً أو مدينةً فزادنا هذا القول حباً في معرفة الحقيقة ، وأقسمنا عليه أن يحدثنا بها ، فجلس وقال :

نشأت في بغداد ، وورثت فيها عن المرحوم أبي مالا كثيراً . انصرفت إلى نميته بالتجارة ، والاستمتاع به في غير إسراف ولا تكبر ، ولم أفكر في الزواج ، لأنني لم أجد عندي ميلاً إلى النساء . وكانت كراهيتي لهن غالباً وبينما كنت في زقاقٍ من أزقة بغداد ، اقضياء بعض مصالحي ، أطلت

من نافذة بيت فيه صبيّةٌ ، لم تقع عيني على أجلَ منها. فأطّلت النظر إليها وتمنيت دوامها مطلّةً من النافذة ، ولسكنها أقطانها واختفت ، فرجعت إلى بيتي وأنا مشغولٌ بها وأحببت أن تكون لي زوجاً ، وإن أنفقت في سبيلها ثروتي ، وكانت تتردد على بيتي جارةً لي عجوز ، فأخبرتها أن في البيت الفلاني صبيّةٌ أحب أن أتزوجها ، وسأعطى من يُساعدني في ذلك ما يطمع من مال ، فقالت : هذه بنت قاضي بغداد . وإني أزورها كثيراً وسيكونُ زواجك منها على يدي ، فشكرتها ووعدتها أن أهدِي إليها مكافأةً قيّمة ، وبعد أيام ثلاثة ، جاءني العجوزُ بكلّ خير وقالت : زرت الصبية اليوم وأخبرتها أنني أعرف شاباً متديناً غنياً ، أخلاقه أحلى من الشهد وصورته أجل من البدر ، ليس له إخوة ولا أخوات ، وأبوه وأمه قد انتقلا إلى رحمة الله ، وليس في بيته ما يغيظ الزوجة ، فيا سعادةً من تكون من نصيبه ، ويا هناءةً من تكون زوجته ، فابتسمت وقالت : أنئن يا معشر العجائز ساحرات ، فقلت : ورب الكعبة يا بنتي لا أقول إلا حقاً ، وأرجو من الله أن يجعلك من نصيبه ، حتى تعرفي إذا كنت صادقةً أو كاذبة . فقالت : إذا أمكنتك فأحضريه هنا لأعرف مبلغَ كلامك من الصدق ، فقلت لها على العين والرأس ، ومتى أحضره ؟

فقالت : إن أبي يخرجُ قبل صلاة الجمعة لزيارة مقابر أولياء الله ، وبعد أن يصلي الجمعة يعود إلى بيته ، وأستحسن أن يكون حضوره في وقت غيبة والدي من ذلك اليوم ، حتى لا يشمر به أحد ، فربما كانت حاله على

غير ما وصفت . فقلت : انتظريه في هذا الموعد ، وستكونين مسرورة  
ولى عندك مكافأة عظيمة . فقالت لكِ علىَّ إن كنتِ صادقة .

وفي يوم الجمعة الموعود أمرتُ غلامى أن يحضرَ لى من السوق زُيناً  
عاقلاً ، قليلَ الكلام ، لأحلقَ رأسى قبلَ أن أذهبَ إليها ، فجاءنى بهذا  
المزين الجالس بينكم — وأشار إليه — وقال : السلام عليكم ، فقلتُ :  
وعليكم السلام ورحمةُ الله ، فقال : أذهبَ الله عنك الهموم والأحزان ،  
فقلت : تقبلَ الله دعوتك لى ولكِ وللمؤمنين .

فقال : أبشِرْ بالعافية ، أتريدُ خلقاً أم تقصيراً أم حِجامة ؟

فقد قالت العلماء : من قصرَ يوم الجمعة صرفَ الله عنه سبعين داء ،  
ومن احتجمَ يوم الجمعة سلِمَ بصره وعُوفى من المرض ، فقلت : اتركْ  
فضولَ القول ، واحلقِ رأسى ، لأخرجَ إلى عملى ، ففتَحَ مِنديلاً معه ،  
وأخرجَ منه « إصْطِرْلابا » ومضى به إلى صَحْنِ الدار ، ونظرَ إلى أشعةِ  
الشمس قليلاً .

ثم قال : مضى من يوم الجمعة هذا ، وهو العاشرُ من شهر صفر سنة  
ثلاثٍ وستين وسبعمائة من الهجرة — سابتان ، وطالعُه المريخ ، ويدلُّ  
على أن خلقَ الشعرَ حسن ، وأنتِ مقبلٌ على شخص سعيدٍ ، ولكنْ  
يَقَعُ بعد قدومك إليه شىءٌ لا يرضيك .

فقلت : حَجَلتَ فيها باغراب !! لا تُقلِّقنا بكثرةِ الكلام ، فما  
أحضرَ لكِ إلّا لتحلقِ رأسى .

فقال لو أردتَ الخير لطلبتَ منى المزيد ، وأشيرُ عليك — كما يدلُّ  
طالعك — ألا تخالفني في هذا اليوم ، فإنني ناصحٌ وأحبُّ أن أخدمك  
سنة كاملة

فقلت : إنك قاتلي اليومَ بكثرة لغوك وباردِ فُضُولك ، فقال : لست  
كثير الكلام ، وإن الناس يسمّونني الصامت لقلّة كلامي ، من دون إخوتي ،  
وأخى الكبير يسمّى البقبوق ، والثاني الهدار ، والثالث بقبق ، والرابع  
الكور الأصواني ، والخامس الفشار ، والسادس الشقائق ، وسابع إخوتي  
الصامت ، وهو خادمك ، الذي يُحدثك ، فنفيد صبري ، وناديتُ غلامي ،  
وأمرته أن يعطيه رُبع دينارٍ على سبيل الإحسان ، ويُخرجه سريعاً ،  
فلا حاجةَ بي إلى حَلَقِ رأسي .

فقال المزين : أما تعرفُ منزلتي ؟ إر يدي توضعُ على رؤوس الملوكِ  
والأمرء ، فقلت : لقد أُعجبني وضيّعت وقتي . فقال : أظنك تريد الخروج  
سريعاً ، فقلت : نعم .

فقال : تمهلْ ولا تعجلْ ، فإن العجلة ، تورث الندامة ، وقد قيل : خيرُ  
الأمور ما كان فيه التأني ، وإني الآن أخاف عليك أن يصيبك ضرٌّ أو أذى ،  
وأحبُّ أن تطلعني على أمرِكَ ، فربما خرجتَ إلى شيءٍ يضرُّك ، ثم أخذ  
« الاصطربلاب » وذهب إلى الشمس ، فوقف به مدة طويلة ، ثم عاد به .  
وقال : لم يبق على صلاة الجمعة إلا ثلاثُ ساعات .

فقلت له : إنك أمرضتنى بكثرة كلامك ، فأمسك موسى ، وخلق بعض رأسى .

وقال : إني في همٍّ شديد لهذه العجلة ، وإن أنت أطلعتنى على حاجتك التى تريد الخروج إليها كان خيراً لك ، فإن المرحوم والدك ما كان يفعل شيئاً إلا بعد مشورتى ، فلما أيقنت ألا تخلص لى منه قلت : دعانى أحد أصحابى إليه ، وقد جاء موعدُ الدعوة

فقال يومك مبارك ، جاءنى فى البارحة جماعة من أصحابى ، وقد نسيتُ أن أجهز لهم شيئاً يأكلونه اليوم ، وقد ذكرتنى بهم الآن ، فقلت : لا يهملك أمرُ إخوانك ، فعندى طعامهم وشرابهم ، إن أنت أنجزت خلق رأسى .

فقال : زادك الله خيراً ونعمة ، فصف لى ما عندك حتى أعرفه ، فقلت : عندى خمسة ألوان من الطعام ، وعشر دجاجات ، وخروف مشوى ، فقال : أحضرها أمامى حتى أراها ، فأمرت الغلام فأحضرها ، فقال : وأين الطيب ، فأمرت الغلام فأحضر عوداً وعنبراً ومسكاً ، ثم أمسك موسى وخلق جزءاً آخر من رأسى .

وقال : أشكر لك فضلك ، واسكن أصحابى لا يستحقون هذا الطعام لأنهم زينون الحمأى ، وصليح النفسخانى ، وعوكل الفوال ، وعكرشة البقال ، وخميس الزبال ، وعكارش اللبان ، فقلت : أنجز خلق رأسى ، واذهب إلى أصحابك ، واطركنى إلى أصحابى .



فقال : أحبُّ أنْ أُجمَعك بأصحابي ، لأنْ حضرتهم لذيدة ، ولو اجتمعت بهم مرة واحدة لنسيت من أجلمهم جميع أصحابك ، فقلت : سأجعلُ لهم يوماً كاملاً في دارى هذه ، فقال : إذا كنت مُصرّاً على أنْ تذهب إلى أصحابك فانتظرني هنا حتى أعطى أصحابى هذا الطعام يأكلونه ، وأنا أذهب معك إلى أصحابك ، فقلت : اذهب أنت إلى أصحابك ، ودعنى أذهب إلى أصحابي .

فقال : لا أتركك تذهب وحدك ، فقلت : إن المسكان الذى أقصده لا يدخله أحد معى . فقال : لعلك ذاهبٌ إلى امرأةٍ أو صبية ، ولو كان الأمرُ غير ذلك لأخذتني معك ، فقلت له : ما هذا الكلام ؟ إنك رجلٌ تظنُّ بالناس الظنون — وكان قد جاء وقتُ الصلاة وانتهى من حلق رأسى — اذهب إلى أصحابك ، وأعطهم هذا الطعام ، ثم ارجع وأنا فى انتظارك ، لتذهب معى إلى أصحابي .

فقال : إنك تخادعنى ، لتذهب أنت وحدك ، فبالله لا تخرج من دارك حتى أعود إليك ، وأمضى معك إلى حيث تريد ، فقلت : على شريطة أنْ تعود سريعاً ، ولا تبطئ ، فقال : سأعودُ إليك فى لمح البصر ، ثم كَأَفَ الحال أنْ يمضى بالطعام إلى بيته ، واختبأ هو فى زقاقٍ ، ليتبعنى حيث أسير على غير علم منى .

خرجتُ من البيت ، وجعلت أسير ، والمزين من ورأى ، وأنا معتقد

أنه فارقتي ، حتى دخلت بيت الصبية ، وكان أبوها القاضي قد انتهى من صلاة الجمعة ، فدخل البيت على أثرى .

وفوجئت الصبية بهذه الحال ، فاضطربت ولم تجد وسيلة تُنجيها إلا إخفاءً في صندوق كان عندها ، وشاء القدر أن تذبّ جارية القاضي ، وعبد من عبيده ، فضر بهما ضرباً موجعاً ، وصاحا مُستغيثين ، فظنّ المزين أنه يضربني ، فجعل يصيح في الزقاق قائلاً :  
قُتِلَ سَيِّدِي فِي بَيْتِ الْقَاضِي .

فاجتمع الناس أمام البيت ، مُحْدِثِينَ ضَوْضاءَ وَجَلْبَةٍ ، جعلت القاضي يُسرِع إلى الباب ففتّحه ، وخرج إلى الناس يسألهم عن سبب اجتماعهم أمام بيته ، فقليل له :  
لقد قتلَ رَجُلًا في بيتك . فقال :

ليس في بيتي رجلٌ غريب ، وليس من أهل البيت من أذنب حتى أقتله ، فقال المزين :

إن بئسك تعشق سيدي ، وقد وصل إليها الساعة ، فأمرت غلمانك بقتله فقتلوه ، وإن كنت كذّبتني فدعني أدخل البيت وأخرجه ، أمام هؤلاء الناس ، فقال القاضي :

إن كنت صادقاً فادخل البيت وأخرج سيديك .

فدخل المزين وقصد المكان الذي فيه الصندوق ، فلما لم يجدني حمل الصندوق الذي اختبأت فيه ومضى به ، فلم أجِدْ مَفْرَأً من الخروج .

منه ، فوثبت مُدَقِّعًا بِنَفْسِي عَلَى الْأَرْضِ فَكُسِرَتْ رِجْلِي ، ثُمَّ مَشَيْتُ بِهَا كَالْأَعْرَجِ إِلَى الْبَابِ فِي أَلَمٍ شَدِيدٍ ، وَكَانَ مَعِيَ صُرَّةٌ مِنَ الدَّنَانِيرِ ، فَجَعَلْتُ أُلْقِي مِنْهَا هُنَا وَهُنَا ، فَشَغِلَ النَّاسُ عَنِّي بِجَمْعِ الدَّنَانِيرِ ، حَتَّى انْسَلَلْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ ، وَمَشَيْتُ إِلَى دَارِي ، كُلَّ أَوْلَئِكَ وَالْمَزِينِ يَتَبَعُنِي وَيَقُولُ : لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ بِمُصَاحَبَتِي ، وَلَوْلَاهَا لَكُنْتَ الْآنَ مِنَ الْهَالِكِينَ ، فَاسْتَجَرْتُ مِنْهُ بِصَاحِبِ دُكَانٍ فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ فَطَرَدَهُ ، وَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنِي ، وَعَزَمْتُ أَلَّا أَقِيمَ فِي مَدِينَةٍ يَقِيمُ فِيهَا هَذَا الْمَزِينُ ، وَوَصَيْتُ بِمَا لِي أَحَدَ أَقَارِبِي ، وَسَافَرْتُ إِلَى مِصْرَ ، وَأَقَمْتُ فِيهَا مَدَّةً .

وَلَمَّا دُعِيتُ الْيَوْمَ إِلَى مَجْلِسِكُمْ وَجَدْتُ فِيهِ هَذَا الْمَزِينُ ، فَخَاوَلْتُ الْفِرَارَ مِنْ وَجْهِهِ ، فَالْتَفَتَ الْجَالِسُونَ إِلَى الْمَزِينِ قَائِلِينَ : أَصَحِّحُ مَا سَمِعْنَا عَنْكَ ؟ فَقَالَ : لَوْ لَا مَا فَعَلْتُهُ لَكَانَ مِنَ الْهَالِكِينَ ، وَإِنِّي لَأَسْتَحِقُّ مِنْهُ شُكْرًا جَمِيلًا ، وَلَوْ كُنْتُ كَثِيرَ الْكَلَامِ كَمَا يَقُولُ مَا فَعَلْتُ مَعَهُ هَذَا الصَّنْعَ الْجَمِيلَ ، وَسَأَقْصُّ عَلَيْكُمْ قِصَّةَ تَعْرِفُونَ مِنْهَا أَنَّ قَلِيلَ الْكَلَامِ ، وَلَا أَحَبُّ اللَّغْوِ وَالْفُضُولِ .

فَقَدْ غَضِبَ الْمُنتَصِرُ بِاللَّهِ خَلِيفَةَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمًا عَلَى عَشْرَةِ رِجَالٍ ، وَأَمَرَ إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهُ بِهِمْ ، فَرَأَيْتُهُمْ وَهُمْ يَرْكَبُونَ الزَّوْرَقَ إِلَى الْخَلِيفَةِ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : لَا بُدَّ أَنْ يَكُونُوا ذَاهِبِينَ إِلَى وَلِيَّةٍ ، فَارْكَبْتُ مَعَهُمْ ، وَبَعْدَ بَرْهَةٍ وَصَّعَ أَغْوَانُ الْوَالِي الْقِيُودَ فِي أَيْدِيهِمْ كَمَا وَصَّعُوهَا فِي يَدِي ، لَأَنَّهُمْ حَسَبُونِي مِنْهُمْ ، وَلَمَّا كُنَّا أَمَامَ الْمُنتَصِرِ أَمَرَ لَضَرْبِ أَعْنَاقِ الْعَشْرَةِ ،

فاما انتهى السَّيَّافُ مِنْ قَتْلِهِمْ وَقَفَ يَنْتَظِرُ أَمْرَ الْخَلِيفَةِ ، فَقَالَ لَهُ لِمَ لَمْ تَضْرِبَ عُتْقَ الْعَاشِرِ؟ فَقَالَ : قَدْ ضَرَبْتُ أَعْنَاقَ عَشْرَةِ رِجَالٍ ، فَأَنْزَعْتُهُمْ بَعْدَهُمْ فَوَجَدَهُمْ عَشْرَةً ، ثُمَّ سَأَلَنِي : مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تَقِفَ سَاكِتًا ، وَلَا تَدْفَعُ عَنْ نَفْسِكَ مَوْتًا مُحَقَّقًا ؟ فَحَكَيْتُ لَهُ حِكَايَتِي مَعَهُمْ ، ثُمَّ قُلْتُ وَذَلِكَ لِأَنِّي رَجُلٌ عَاقِلٌ حَكِيمٌ ، لَا أَمِيلُ إِلَى كَثْرَةِ الْكَلَامِ ، وَلَسْتُ كِإِخْوَتِي الَّذِينَ مِنْ كَثْرَةِ فَضُولِهِمْ أُصِيبُوا بِعَاقِبَاتٍ ، فَمِنْهُمْ الْأَعْرَجُ وَالْمَقْلُوجُ وَالْأَعْمَى وَالْأَعْوَرُ وَمَقْطُوعُ الْأُذُنَيْنِ وَمَقْطُوعُ الشَّفَتَيْنِ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَدِيثٌ عَجِيبٌ ، فَإِنْ شِئْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَدِّثُكَ بِحَدِيثِهِمْ أَجْمَعِينَ :

أَمَّا الْأَوَّلُ وَهُوَ الْأَعْرَجُ فَقَدْ كَانَ خَيَّاطًا فِي دُكَّانٍ مِنْ دَارِ اسْتَأْجَرَهُ مِنْ رَجُلٍ غَنِيٍّ يَسْكُنُ هُوَ وَزَوْجُهُ فِي الطَّابَقِ الثَّانِي مِنْ تِلْكَ الدَّارِ ، وَكَانَ بِهَا طَاحُونَةً يَقُومُ بِالْإِشْرَافِ عَلَى إِدَارَتِهَا عَامِلٌ بِأَجْرَةٍ شَهْرِيَّةٍ ، وَذَاتَ يَوْمٍ جَلَسَ أَخِي هَذَا أَمَامَ دُكَّانِهِ يَخِيطُ الثِّيَابَ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَوَجَدَ زَوْجَةَ صَاحِبِ الدَّارِ مُطْلَةً مِنَ النَّافِذَةِ ، فَأُطَالَ فِيهَا النَّظَرَ ، وَأَشَارَ إِلَيْهَا إِشَارَةً سُوِّءَ ، فَاخْتَفَتْ فِي الدَّارِ غَاضِبَةً ، وَلَمَّا حَضَرَ زَوْجُهَا شَكَتْ إِلَيْهِ مَا حَصَلَ مِنْ أَخِي الْخَيَّاطِ ، فَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْهُ ، فَدَعَاهُ إِلَى بَيْتِهِ لَيْلًا ، فَظَنَّ أَخِي أَنْ تِلْكَ الدَّعْوَةَ مِنْ تَدْبِيرِ زَوْجَتِهِ ، لِتَتِمَّكَنَ مِنَ الْاجْتِمَاعِ بِهِ ، فَفَرِحَ وَأَجَابَ الدَّعْوَةَ ، وَلَمَّا دَخَلَ الدَّارَ سَمِعَهُ صَاحِبُهَا إِلَى عَامِلِهِ بِالطَّاحُونَةِ ، وَوَصَّاهُ أَنْ يَكْلِفَهُ إِدَارَتَهَا حَتَّى الصَّبَاحِ ، وَرَبَطَ الْعَامِلُ أَخِي فِي الطَّاحُونَةِ ، وَجَعَلَ يَسُوقُهُ وَيَضْرِبُهُ ، حَتَّى أَشْبَعَهُ ضَرْبًا وَتَعَذِيبًا ، وَفِي



الصباح أَخَذَهُ صَاحِبُ الدَّارِ إِلَى الْوَالِي ، وَشَكَا إِلَيْهِ مَا فَعَلَهُ ، فَضَرَبَهُ الْوَالِي  
وَأَرْكَبَهُ جَمَلًا وَأَمَرَ أَنْ يَطُوفُوا بِهِ فِي أَتْحَاءِ الْمَدِينَةِ ، لِيُنَالَ خَزِيءُ الْفَضِيحَةِ ،  
وَفِي أَمْنَاءِ طَوَائِفِهِمْ بِهِ وَقَعَ مِنْ فَوْقِ الْجَمَلِ فَكُسِرَتْ رِجْلُهُ ، وَأَصِيبَ  
بِالْعَرَجِ ، وَقَدْ عَطَفْتُ عَلَيْهِ وَأَسْكَنْتُهُ مَعِيَ فِي دَارِي ، وَقُمْتُ بِالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِ  
إِلَى الْآنَ ، فَا بْتَسِمِ الْخَلِيفَةُ وَقَالَ : أَحْسَنْتَ ، فَقُلْتُ : وَلَنْ أَسْكُتَ حَتَّى  
تَسْمَعَ مِنِّي الْأَحَادِيثَ عَنْ بَقِيَّةِ إِخْوَتِي وَاحِدًا وَاحِدًا ، وَلَا تَحْسِبَنَّ أَنِّي  
كَثِيرُ الْكَلَامِ ، فَقَالَ فَرَحْنَا بِحَدِيثِكَ اللَّذِيذِ . فَقُلْتُ :

وَأَمَّا أَخِي الثَّانِي وَهُوَ الْمَفْلُوجُ فَكَانَ مَاشِيًا يَوْمًا فِي شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ ،  
فَقَابَلَتْهُ عَجُوزٌ وَقَالَتْ لَهُ : أَلَا تُحِبُّ أَنْ تَكْسِبَ ثَوَابًا عَظِيمًا ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ،  
فَقَالَتْ : خُذْ يَدَيَّ يَا وَلَدِي حَتَّى أَصِلَ إِلَى دَارِي ، وَاللَّهِ يُعَافِيكَ وَيَقْوِيكَ ،  
فَأَمْسَكَ يَدَهَا وَسَارَ بِهَا حَتَّى أَوْصَلَهَا إِلَى دَارِهَا ، فَأَقْسَمَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ  
الدَّارَ وَيَشْرَبَ الْقَهْوَةَ ، فَمَا دَخَلَهَا وَجَدَ عَبْدًا أَسْوَدَ طَوِيلَ الْقَامَةِ ، مَفْتُولَ  
الْعُضَلَاتِ عَرِيضَ الصَّدْرِ مُخَيِّفَ الطَّلَعَةِ ، فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ الْعَجُوزُ إِشَارَةً  
فَهَمَّهَا وَلَكِنْ أَخَى لَمْ يَفْهَمْ مِنْهَا شَيْئًا ، فَأَخَذَهُ إِلَى حُجْرَةٍ لَيْسَ فِيهَا نَافِذَةٌ ،  
وَهُنَاكَ سَلَبَهُ نَقُودَهُ وَحَلَقَ لَهُ رَأْسَهُ وَحَوَاجِبَهُ وَشَارِبَهُ ، وَخَافَ أَخَى أَنْ  
يُصَابَ بِأَذَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، فَتَوَسَّلَ إِلَى الْعَبْدِ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ بِإِطْلَاقِ  
سَرَاحِهِ ، فَأَخَذَهُ الْعَبْدُ إِلَى بَابِ الْبَيْتِ وَدَفَعَهُ إِلَى الزَّطَاقِ ، فَقَرَّ أَخَى وَهُوَ  
يَرْتَعِدُ فَرَعًا وَرُثْبًا ، وَعَادَ إِلَى بَيْتِهِ وَهُوَ لَا يَكْأَدُ يُصَدِّقُ بِنَجَاتِهِ ، وَأَصَابَهُ  
الْفَالَجُ بِسَبَبِ ذَلِكَ ، فَقَالَ الْمَلِكُ : زِدْنَا مِنْ حَدِيثِكَ ، فَقَالَ : وَمَا كُنْتُ

لأُسْكِتَ حَتَّى أَذْكَرَ الْمَلِكِ حَوَادِثَ إِخْوَتِي جَمِيعِهِمْ ، وَسَأَبْدَأُ الْآنَ فِي حَادِثَةِ أَخِي الثَّالِثِ .

كَانَ أَخِي الثَّالِثُ أَعْمَى ، فَقِصْرًا شَحَاذًا ، طَرَقَ يَوْمًا بَابَ غَنَى مِنْ الْأَغْنِيَاءِ ، فَأُطِّلَ عَلَيْهِ مِنْ نَافِذَةٍ فِي الطَّابِقِ الثَّانِي وَقَالَ : مَنْ بِالْبَابِ ؟ فَقَالَ أَخِي : رَجُلٌ يُرِيدُكَ فِي شَيْءٍ يَسِيرٍ ، فَزَلَّ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ عَمَّا يُرِيدُ ، فَقَالَ : أُعْطِنِي شَيْئًا أَقْتَاتُ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ : تَفَضَّلْ ، وَأَخْذَهُ مَعَهُ ، وَصَعَدَ بِهِ إِلَى الطَّابِقِ الثَّانِي ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : سَهِّلْ اللَّهُ لَكَ ، فَقَالَ أَخِي أَتَعْبَتَنِي بِالصُّعُودِ إِلَيْكَ ، فَلَمْ يَلَمْ تَقُلْ ذَلِكَ وَأَنَا بِيَابِ بَيْتِكَ ؟ فَقَالَ الْغَنِيُّ : وَأَنْتَ أَتَعْبَتَنِي بِالنُّزُولِ إِلَيْكَ ، فَلَيْمَ لَمْ تَسْأَلْنِي وَأَنَا فِي حُجْرَتِي مِنَ الطَّابِقِ الثَّانِي ؟ فَقَالَ أَخِي : أَنْزِلْ مَعِيَ إِلَى الْبَابِ ، فَقَالَ : مِنْ وَرَائِكَ سُلَّمُ الْبَيْتِ ، فَانْزِلْ وَخُذْكَ سَرِيعًا وَإِلَّا ضَرَبْتُكَ . فَزَلَّ أَخِي وَخَذَهُ ، وَفِي الدَّرَجَةِ السُّفْلَى مِنَ السُّلَّمِ زَلَّتْ رِجْلُهُ ، فَوَقَعَ عَلَى وَجْهِهِ ، ثُمَّ نَهَضَ مُتَأَلِّمًا ، وَخَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ مُغْمُومًا ، وَكَانَ لَهُ رُفَقَاءُ ثَلَاثَةٌ عُمَى وَلَهُمْ مَكَانٌ يَجْمَعُهُمْ ، وَيَضْعُمُونَ فِيهِ مَا يَجْمَعُونَهُ مِنَ الشَّحَاذَةِ ، وَهُمْ شُرَكَاءُ فِيهَا يَجْمَعُونَ ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : أَسْتَرِيحُ الْيَوْمَ ، وَأَذْهَبُ إِلَى رُفَقَائِي ، فَأَخْذُ شَيْئًا مِمَّا جَمَعْنَاهُ ، أَقْتَاتُ بِهِ فِي يَوْمِي هَذَا ، وَسَارَ وَمِنْ خَلْفِهِ ذَلِكَ الْعَبْيُ يَتَّبِعُهُ حَيْثُ سَارَ ، وَلَمَّا دَخَلَ أَخِي الدَّارَ الَّتِي لَهُ وَلِرُفَقَائِهِ دَخَلَ الْغَنِيُّ مِنْ وَرَائِهِ خَفِيَّةً ، لِيَرَى مَاذَا يَصْنَعُ هَذَا الْأَعْمَى ، ثُمَّ اخْتَبَأَ فِي مَكَانٍ بَحِثَ يَرَى مِنْهُ أَخِي وَرُفَقَاءَهُ وَبَسَّ مَعْهُمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ .

سَلَّمَ أَخِي عَلَى رَفَقَائِهِ وَسَامُوا عَلَيْهِ ثُمَّ قَالُوا : مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ صَبِيحَةَ هَذَا الْيَوْمِ ؟ فَقَالَ : طَرَفْتُ بِأَبِّ غَنِيٍّ سَخِيفٍ ، لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي مَالِهِ ، ثُمَّ حَكَمِي لَهُمْ مَا حَصَلَ لَهُ ، وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى آلِ الْأَسْوَلِ هَذَا الْيَوْمِ ، فَأَعْطُونِي شَيْئًا مِمَّا جَمَعْتَاهُ ، آكَلُ مِنْهُ إِلَى غَدٍ ، فَأَحْضَرُوا بَيْنَهُمْ مَا جَمَعُوهُ ، فَوَجَدَهُ الْغَنِيُّ مَا لَا كَثِيرًا ، وَعَلِمَ مِنْ حَدِيثِهِمْ أَنَّ مَقْدَارَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ نَالُوا أَخِي شَيْئًا مِنْهُ ، وَدَفَنُوا الْبَاقِي فِي مَكَانِهِ ، ثُمَّ أَنْسَلَّ الْغَنِيُّ خَارِجًا وَهُوَ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ : لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ النَّاسِ كِرْمَاءَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مَارَضُوا بِالشَّحَازَةِ وَعِنْدَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْمَالِ . فَقَالَ الْخَلِيفَةُ أَتُحِبُّ أَنْ نُعْطِيكَ جَائِزَةً وَتَفَارِقَنَا ؟ فَقُلْتُ : لَا أَفَارُقُكَ حَتَّى أَسْرُدَ مَا بَقِيَ مِنْ حَوَادِثِ إِخْوَتِي .

وَهَذَا رَابِعُهُمُ الْأَعُورُ ، فَفَدَّ كَانَ مِنْ كِبَارِ الْجَزَارِينَ بِبَغْدَادٍ ، وَزَبَانُهُ الْأَعْيَانِ الْوُجْهَاءُ ، وَرَبِحَ مِنَ الْجَرَارَةِ مَا لَا كَثِيرًا ، فَاشْتَرَى الْأَطْيَانَ وَالْعَبِيدَ وَالْجَوَارِي . وَذَاتَ يَوْمٍ جَاءَهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، وَاشْتَرَى مِنْهُ لَحْمًا ، وَأَعْطَاهُ ثَمَنَهُ ، دَرَاهِمَ مِنْ فِضَّةٍ بَرَّاقَةٍ لَامِعَةٍ ، فَأَعْتَرَبَهَا وَحَفِظَهَا فِي صُنْدُوقٍ وَحْدَهَا ، وَجَعَلَ ذَلِكَ الشَّيْخُ يَشْتَرِي مِنْهُ لَحْمًا ، وَيُعْطِيهِ الثَّمَنَ مِنْ تِلْكَ الْفِضَّةِ ، وَأَخِي يَحْفَظُهَا وَحْدَهَا مُدَّةَ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ . وَلَمَّا فَتَحَ الصُّنْدُوقَ بَعْدَ هَذِهِ الْمُدَّةِ وَجَدَ الدَّرَاهِمَ وَرَقًا أَيْضًا فَدَهِشَ وَحَزَنَ ، ثُمَّ عَرَضَ أَمْرَ هَذَا الشَّيْخِ وَدَرَاهِمَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ ، فَدَهِشُوا وَقَالُوا : إِذَا جَاءَكَ الشَّيْخُ فَأَمْسِكْهُ وَأَمْضِ بِهِ إِلَى الْوَالِي . فَلَمَّا جَاءَهُ وَاشْتَرَى اللَّحْمَ كَعَادَتِهِ وَأَعْطَى أَخِي الْفِضَّةَ الْبَرَّاقَةَ — أَمْسَكَهُ أَخِي وَنَادَى النَّاسَ وَالْأَصْحَابَ ، لِيُسَاعِدُوهُ عَلَى



المضى به إلى الوالى ، فقال الشيخ لأخى : إنك جزارٌ لازِمةٌ لك ولا دين ،  
لأنك تذبجُ الناسَ وتبيع لحومهم ، على أنها لحومٌ غنم ، فقال : إن كنتُ  
فعلتُ هذا فالى ودى حلالٌ لك ، فالتفت الشيخُ إلى من حوله من الناسَ ،  
وأمرهم أن يدخلوا الدكانَ ليرَوْا لحوم الناسِ مُعلقةً ، فدخلوا الدكانَ  
ووجدوا إنساناً مذبوحاً معلقاً ، فهجموا على أخى ضرباً وسباً ، وهُمُوا أن  
يذهبوا به إلى الوالى ، ولكنه استطاع أن يفرَّ منهم ويهرب إلى مدينةٍ  
أخرى ، وفيها اشتغل بالسُّكافةِ ، حتى لا يعرفه أحد ، وكان يجلسُ في  
الشوارع ، وعلى أفواه الأزقة ، يُصالح الأحذية القديمة .

ونزَّ به حاكم المدينة وهو خارجٌ إلى الصيدِ ، ومعه غلمانُه وجُنودُه ،  
فاما وقع نظره عليه تشاءمَ وغَضِبَ ، وعاد إلى بيته ، بعد أن أمر غلمانه  
بضرب أخى .

وسألَ أخى عن سببِ صربه ، من غير ذنبٍ فعله ، فقليل له : إن  
حاكم المدينة يتشاءم من العور ، وبخاصةٍ إذا كان فى العينِ اليسرى ، وقد  
كنتُ فى طريقه وهو خارجٌ إلى الصيدِ ، فتشاءم وعكرت عليه صفو  
يومه ، وهو الذى أمر بضربك ، ولو اشتد به الغضبُ لأمر بقتلك .

خافَ أخى أن يعيش فى هذه المدينة الظالم حاكمها ، فرحل إلى  
غيرها ، وكان وصوله إليها بعدَ الغروب ، فأخذ يمشى فى شوارعها  
وأزقتها ، ليجد له مكاناً يبيتُ فيه ، وبعد التعمُّب رأى باباً مفتوحاً فدخله ،  
فأتى دهلِيزاً طويلاً فسارَ فيه ، ليلتقى بأحدٍ يسأله المبيتَ عنده ، وإذا

برجلين يسكانه ويقولان له : وقمت في أيدينا يا ملعون ، أنت الذى حرمت علينا لذيذ النوم ، ثلاث ليالٍ مُتواليات ، تريدُ سرقة أموالنا ونحن نألمون ، فضحك أخى وقال : أصبحنا إخوة فى الألم ونكد المعيشة ، وإن سمعتم قصتي منحتهمونى شفقتكم وإكرامكم حتى الصباح ، فقالوا : وما قصتك يا هذا ؟ فحكى لهم ما جرى إلى أن كان بين أيديهم ، فمعجبوا وأضافوه عندهم حتى الصباح ، ثم رجع إلى بلدته مختفيا فى شيخوخته ولحيته الكشيفة المرسلّة ، وحرقة السكافة الجديدة ، ولا يزالُ مقيا فيها ، يعرف الناس ولا يعرفونه . فقال الخليفة : املّ هذا آخرُ حديثك ؟ فقال : لا يزالُ لحديثي بقية ، وسأسمُك قصة أخى الخامس .

ورث أخى الخامس عن أبيه مائة درهم ، فاشتري بها أوعيةً من زُجاج ، ووضعها فى قفصٍ ، وجعل يتجول بها فى الحارات ، ينادى لبيعهما .

وفى يومٍ اشتدَّ حرُّه جلس فى ظلٍّ ظليلٍ ، ووضعَ القفصَ أمامه ، وطفق يفكرُ فى حاله ، وساورته الأمانى التى كثيراً ما تُداعب كل فقيرٍ مثله ، فأطلق العنانَ لخياله ، وقال فى نفسه :

سأبيعُ هذه الأوعية بمائتى درهم ، ثم أشتريَ بـمئتها أوعية زجاجية أخرى ، فأبيعها وأربح ربحاً كثيراً ، ولا أزالُ أشتري وأبيعُ وأربح حتى أحصلَ على مالٍ كثيرٍ أشتري به أغنزا وشياهاً ، ثم أبيعها وأشتري بـمئتها ضيعةً واسعة ، ويؤوتا كثيرة ، ثم أتزوجُ فتاة من أغنى البيوت ،

وأجعلها بمالى ، تحت أمرى وطاعى ، وسيهبُ الله لى منها غلاماً ،  
أرسله إلى المدرسة حين يبلغُ من العمر سَبْعاً ، وإذا رفض الذهاب إليها  
يوماً ، أو أذنبَ ذنباً يستحقُّ من أجله التأديب ، رفسُته برجلى هكذا ،  
وضرب القفص الذى أمامه ضربةً قوية ، فتدحرج وانكسر ما فيه من  
الأوعية الزجاجية .

فاستيقظ من خياله ، فوجده قد ضيَّع جميع ثروته ، برفسةٍ شاردةٍ  
من رجله ، وأصبح لا يملك شيئاً ، فندم وقال :  
توهَّمتُ أنى غنى ، فلستكبرتُ على عبادِ الله ، فعاقبنى الله بالفقر  
والحرمان ..

وبينا هو جالسٌ ، يُساوره ندمٌ وبؤسٌ ، إذ مرَّت به امرأةٌ فى  
جمعٍ من جوارىها فوجدته كئيباً حزيناً ، فسألت عن حاله ، فقيل :  
تاجرٌ وضع رأس ماله فى هذه الأوعية الزجاجية ، وانكسرت وخسر  
بذلك ماله ، وصار فقيراً لا يملك شيئاً ، وقد جلس فى بُؤسه وغمِّه  
يتدبُّ حظه .

فعطفت عليه ، وأمرت جارتها أن تُعطيه كيسَ نقودٍ مما تحمله ،  
فشكر لها جميل صنْعها ورجع إلى بيته ، وهناك فتح الكيس فوجد فيه  
خمسمائة دينار ، فسكاد يطيرُ فرحاً .

وبينا هو فى سروره هذا إذ بالباب يطرقه طارق ، ولما فتحه وجدَ  
عجوزاً فقالت له :

إِنَّ وَقْتَ الصَّلَاةِ قَدْ قَرُبَ ، وَإِنِّي بغيرِ وضوءٍ ، فهل تدخلني بيتك  
لأنوضأ ، فقال لها :

فضلي ، وتوضئي ، وصلي ، واسترحي ، فاليبتُ بيتك ، وأنا ابنُك  
وخادمُك . فقالت :

أكرمك الله يا ولدي ، ولما توضأت وصَلَّتُ ركعتين جعلت تدعو  
لأخي وتشكره ، فمدَّ يدهُ إليها بدينارين ، فامتنعت قائلة :

أبعدُ عني تقودك ، وإن كنت تريد المزيد فأرجعها إلى التي أهدتها  
إليك ، فإنها ما فعلت ذلك إلا لتمتد العلاقة بينها وبينك ، وحينئذٍ  
تستمتع بها وجمالها ، فقال :

وكيف أصلُ إليها وأنا لا أعرفها ؟ فقالت : إن أردت الآن جمعك  
بها ، ففرح أخى وقال :  
ولك عندي مكافأة قيِّمة :

ومشت العجوزُ ومشى وراءها أخى ، حتى وصلت به إلى باب كبير ،  
فطرقته فانفتح ، ودخلت وأخى معها ، وسارا في دهليز طويل ينتهي  
إلى حُجرة مفروشة بأثاثٍ فاخر ، فأجاسته فيها ثم مضت .

وما لبث أخى غير قليل حتى جاءته امرأةٌ جميلة ، في ثيابها الحريرية ،  
وناولته شرباً حلوًا ثم انصرفت ، وبعد بُرهةٍ من الزمن دخل عليه عبدُ  
أسود ، وفي يده سيفٌ مُصلت ، فأخذ منه كيسَ نقوده ، وقطع  
بالسيف أذنيه ثم انصرف .

أذكر أخى خُطورة الموقف قُتِمَاوَتَ ، وجاءتْ جاريةٌ ومَعها شئٌ  
وضَعتهُ على جُرْحه ، فوقف الدَّمُ عنْ نَريفه ، ثم أَحْضَرَت جَارِيتَيْنِ ،  
حَمَلَتَاهُ إِلَى حِجْرَةِ أُخْرَى بِهَا أَشْخَاصٌ مَيِّتُونَ .

ولما جاءَ اللَّيْلُ نَهَضَ أَخِي ، وَفَكَّرَ فِي حِيلَةٍ يُنْجُو بِهَا ، فوجدَ فِي  
الحِجْرَةِ نَافِذَةً مُحْكَمَةً الإِغْلَاقِ فَفَتَحَهَا ، وَفَرَّ مِنْهَا إِلَى الشَّارِعِ هَارِبًا ،  
وَمَكَثَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى بَرَأَ مِنْ جُروحِهِ . وَكَانَ يَجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ مِنْ  
أَيْدِي الْمُحْسِنِينَ .

أَرَادَ أَخِي أَنْ يَنْتَقِمَ مِنَ الْعَجُوزِ وَالْعَبْدِ الْأَسْوَدِ ، فَتَنَكَّرَ وَأَحْضَرَ  
سَيْفًا مَاضِيًا ، وَكَيْسًا مَلَأَهُ قِطْعًا زُجَاجِيَّةً صَغِيرَةً ، وَقَابَلَ الْعَجُوزَ فِي  
فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ لَهَا :

هَلْ عِنْدَكَ مِيزَانٌ أَزِنُ بِهِ هَذَا الْكَيْسَ مِنَ الثَّقُودِ ؟

فَفَرَحَتْ وَقَالَتْ : الْمِيزَانُ يَا وَلَدِي عِنْدِي فِي الْبَيْتِ ، فَهَيَّا بِنَا إِلَيْهِ ،  
لَتَزِنَ ثَقُودَكَ ثُمَّ ذَهَبَتْ بِهِ إِلَى تِلْكَ الدَّارِ ، وَأَجْلَسَتْهُ فِي الْحِجْرَةِ الْمَفْرُوشَةِ  
بِالْأَثَاثِ الْفَاحِرِ ، وَالتَّتِي ضَرَبَهُ الْعَبْدُ فِيهَا بِسَيْفِهِ .

ولما جاءَهُ الْعَبْدُ كَمَا ذَكَرْتَهُ بِأَدْرِهِ أَخِي بِسَيْفِهِ فَأَوْقَعَهُ قَتِيلًا ، ثُمَّ خَرَجَ  
مِنَ الْحِجْرَةِ إِلَى الْعَجُوزِ فَقَالَ :

هَلْ تَعْرِفِينِي ؟ فَقَالَتْ : لَا أَعْرِفُكَ يَا وَلَدِي ، فَقَالَ :

أَنَا الَّذِي تَوَصَّاتِ وَصَّيْتِ فِي بَيْتِهِ ، ثُمَّ خَدَعْتَنِي وَجِئْتُ بِى إِلَى هَذَا  
الْبَيْتِ ، وَعَاجَلَهَا بِسَيْفِهِ فَقَتَلَهَا .

أما المرأة الجميلة فإنه أحضرها وسألها: مَنْ أَنْتِ؟ ولماذا تفعلين  
بالناسِ هذا؟

فقلت: أنا بنتُ تاجرٍ من الأغنياء، واحتالتُ على هذه العجوز،  
وحبستني في هذه الدار، عندَ ذلك العبد الأسود، وجعلت العجوزُ تأتي  
بالناسِ واحداً واحداً، وهذا العبدُ يقتلهم ويأخذ أموالهم، حتى مُلئتُ  
هذه الدار بالناسِ وأموالهم ظلماً وعدواناً.

والحمد لله الذي جعل خلاصي من هذه العجوز وذلك العبدِ على  
يديك، فإن أحببت أن تبقيني على أن أكونَ زوجاً لك، وتنقلَ هذه  
الأموال إلى بيتك، كان ذلك خيراً لي ولك، وما عليك إلا أن تخرج  
وتحضِرَ رجلاً يقومون بنقل هذه الأموال إلى بيتك، لنفادِ تلك الدار  
التي كلُّها ظلمٌ وعدوان.

فاطمناً أخِي إلى قولها، وخرجَ ليحضِرَ الرجال، ولما جاء بهم لم  
يجد المرأة، ولم يجد الأموال، فخرجَ من الدار كاسِفَ البال نادماً.  
ولو سمعتَ أيها الملكُ قصةَ أخِي السادس لدهشتَ وصحيتَ، فقال:  
ليسَ لليأسِ منك مجال، ولم يبقَ من حديثك إلا قليل، فحدثنا بما  
تريد. فبدأ يقول:

وهذا أخِي السادس فقيرٌ لا عملَ له، يجرى إليه رزقه من سُبُل  
الإحسان والمؤنة، رأى في طريقه وهو سائر، داراً أمامها خدم، عليها  
سماتُ النوى والمهابة، فسأل عن صاحبها، فقليل:

إنها لأحد أبناء الملوك ، فسأل حُرَّاسَ الباب ، هل يمكنُ لصاحبِ  
هذه الدار أن يُحسِنَ إلىَّ بشيءٍ من المال ؟ فقالوا له :

ادخل فإنك واجدٌ ما تُحب ، فشى في طريق طويل ، إلى أن وصل  
إلى قصر جميل ، وسطَ حديقةٍ مختلفةِ الأزهار ، تُعطرُ أجواءها الرائحةُ  
الذكية ، ووجد في مدخل القصر رجلا ، بشَّ الوجه ، جميلَ اللحية ،  
فلما رأى أخى قادمًا إليه نهضَ وحياَّه ، وسأله عن حاله ، فقال أخى :  
فقيرٌ لا أملكُ شيئًا ، وفي حاجةٍ إلى شيءٍ من المال ، أقضى به حاجتى  
فأسفَ الرجل وقال :

كيف أكون حياَّ في بلد يشكرك فيه إنسانٌ جوعًا وفقرًا ؟ !  
تفضل اجلس حتى أعطيك المالَ الذى يكفيك شرَّ الحاجة ، ولعلَّك  
جائعٌ الآن ، فقال أخى :

نعم ، فأمر غلمانهُ أن يُحضروا فى الحالِ مائدة ، فجعلوا يجيئون  
ويذهبون ، كأنَّهم يُعدُّونها ، ثم أخذنى وجلسنا أمام المائدة الموهومة  
وجعل صاحبُ القصر يحركُ شفَّتيه وماضغيته ، كأنه يأكل ، ويقولُ لى  
كُلْ فإنك جوعان ، فكان أخى يُحاكيه فيما يفعل ، كأنه أيضًا  
يأكل ، وجعل صاحبُ القصر يطلبُ من غلمانِهِ أصنافَ الطعام ،  
صنفًا بعد صنف ، وهم يعدون ويروحون كأنَّهم يُحضرون هذه الأصناف  
ولا يرى أخى منها شيئًا ، وأخيرًا قال أخى :

كفى فقد شبعْتُ . فقال صاحبُ القصر :

خُذْ هَذَا الْقَدَحَ مِنَ الشَّرَابِ فَإِنَّهُ لَذِيذٌ ، وَلَيْسَ فِي يَدِهِ شَيْءٌ يَنْأُولُهُ  
فَدَنَا أَخِي يَدَهُ كَأَنَّهُ يَأْخُذُهُ ، وَرَفَعَ يَدَهُ إِلَى فِيهِ كَأَنَّهُ يَشْرِبُهُ . ثُمَّ قَالَ  
صَاحِبُ الْقَصْرِ :

أُظُنُّ هَذَا الشَّرَابَ قَدْ أُعْجِبَكَ ؟ فَقَالَ أَخِي :  
مَا شَرِبْتُ أَلَّذِي فِي حَيَاتِي ، فَقَالَ :

هَنِيئًا مَرِيئًا ، وَأَرَادَ أَخِي أَنْ يَذْتَمِرَ مِنْ صَاحِبِ الْقَصْرِ جَزَاءَ سَخَرِيَّتِهِ  
بِالْفُضْيُوفِ ، فَأَظْهَرَ أَنَّهُ سَيَكْرَمُ مِنَ الشَّرَابِ ، وَرَفَعَ يَدَهُ وَلَطَمَ وَجْهَهُ ، ثُمَّ  
اتَّبَعَ اللَّطْمَةَ بِأُخْرَى ، فَقَالَ صَاحِبُ الْقَصْرِ :

مَا هَذَا أَيُّهَا السَّافِلُ ؟ فَقَالَ : يَا سَيِّدِي أَنَا صَنِيفُكَ الَّذِي أَطْعَمْتُهُ ،  
وَأَسْقَيْتُهُ الْخَمْرَ فَسَكِرَ ، فَلَا تُؤَاخِذْنِي فَإِنِّي سَكِرَانُ لَا أَعْيِي مَا أَفْعَلُ ،  
فَضَحَكَ صَاحِبُ الْقَصْرِ وَقَالَ :

إِنَّ لِي زَمَنًا طَوِيلًا أَسْخَرُ مِنَ النَّاسِ ، فَمَا رَأَيْتُ فِيهِمْ مِثْلَكَ صَاحِبَ  
ذِكَاةٍ وَفِطْنَةٍ ، وَلِهَذَا عَفَوْتُ عَنْكَ ، وَجَعَلْتُكَ نَدِييَ وَصَاحِبِي ، ثُمَّ أَمَرَ  
صَاحِبُ الْقَصْرِ بِإِحْضَارِ الطَّعَامِ فَأَكَلَا وَشَرِبَا ، وَاسْتَمْتَعَا بِغِنَاءِ الْجَوَارِي  
وَعَزْفِ الْمَوْسِيقَى ، وَلَبِثَا عَلَى هَذِهِ الْمُنْتَمَةِ مَدَّةَ الزَّمَانِ ، حَتَّى مَاتَ الرَّجُلُ  
وَاسْتَوْلَى الشَّيْطَانُ عَلَى أَمْوَالِهِ ، وَخَرَجَ أَخِي مِنَ الْمَدِينَةِ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا .

وَبَيْنَمَا هُوَ سَائِرٌ فِي طَرِيقِهِ ، قَابَلَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ قَطَّاعِ الطُّرُقِ ، فَأَسْرَوْهُ  
وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَفْتَدِيَ نَفْسَهُ بِالْمَالِ ، فَأَقْسَمَ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا ، فَأَخْرَجَ  
شَيْخَهُمْ سَكِينًا حَادَّةً وَقَطَعَ بِهَا شَفَتَيْهِ ، حَتَّى يَعْتَرِفَ وَيُعْطِيَهُمُ الْفِدْيَةَ ،





ولكنه لم يكن معه شيء من المال يدفعه . فلما يتسوا منه حملوا أميتهم وارتحلوا ، وتركوه وحده ، يُعالجُ آلامَ قطع شفتيه ، ثم رجع إلى بلدته . وهذه أيها الخليفة أخبار إخوتي ، رأيتُ من الواجب أن أطلعك عليها ، فقال الخليفة :

إنَّكَ مُزِينٌ حقاً ، وما أَكْثَرَ صمتك ، وأقلَّ كلامك ، ولكن اخرج من هذه المدينة ، وابحث لك عن مدينة أخرى ، تسكن فيها . فإنِّي لا أحب أن يسكن مدينتي إلاَّ مَنْ كَثُرَ كلامه ، وقلَّ صمته .

قال المزين : فخرَّجت لساعتي ، وسكنتُ في مدينةٍ تبعدُ كثيراً ، ولما ماتت الخليفة رجعتُ إلى مدينتي وسكنتُ في بيتي ، حتى التقيتُ بهذا الشاب ، فأخذته من قتلٍ محتوم ، وكان عرجه بسببي فدية لنفسه . . .

وقال الخياط : فلما عرفنا أن المزين كثير القول والفضول . وأنه قد ظلم الشاب ، وتسبَّب في عرجه حبسناه حتى أكلنا وشربنا ، ثم افترقنا ورجعتُ إلى منزلي ، فطلبتُ مِنِّي زوجتي أن نخرج للزهوة حسب عادتنا ، فخرجنا وتمتعنا بمظاهر الطبيعة . وبينما نحن راجعون من نزهتنا قابلنا هذا الأحدب فأخذناه معنا إلى منزلنا .

ولما جلسنا نأكل اعترضتُ حلقه شوكة سمك وهو يأكل ، فمات لساعته ، فحملته إلى الطبيب اليهودي ، وحمله هو إلى المباشر ، وهذا رماه في طريق النصارى ، وهذه قصتي .

فقال الملك :

أَحْضِرُوا الْمَزِين حَتَّى أَسْمَعَ كَلَامَهُ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَنْظِرْ فِي أَمْرِكُمْ ، فَلَمَّا  
حَضَرَ قَالَ الْمَلِكُ :

اذْكُرُوا لَهُ جَمِيعَ مَا وَقَعَ مِنْهُ ، وَمَا حَدَّثَ لِلْأَحْدَبِ ، فَلَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُمْ  
هَزَّ رَأْسَهُ وَقَالَ :

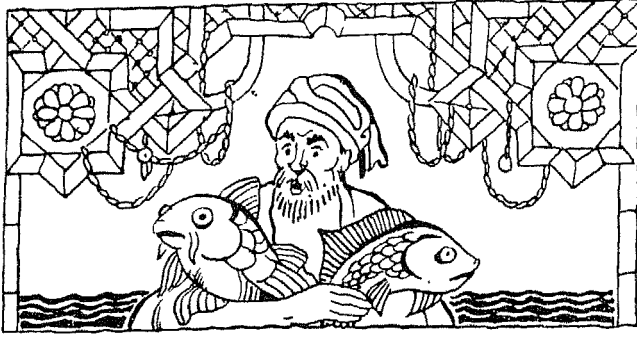
أَحْضِرُوا الْأَحْدَبَ بَيْنَ يَدَيَّ ، لِنَظَرٍ عِنْدَ رَأْسِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ فِي وَجْهِهِ  
وَضَحِكَ ضَحْكًا عَالِيًا وَقَالَ :

لِكُلِّ مَوْتَةٍ سَبَبٌ ، وَمَوْتُ هَذَا الْأَحْدَبِ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ ،  
فَقَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ أَيُّهَا الْمَزِين ؟ فَقَالَ :

إِنَّ الْأَحْدَبَ حَتَّى لَمْ يَمُتْ ، وَأَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ وَعَاءً مِنْ دِهْنٍ ، وَمَسَحَ  
رَقَبَةَ الْأَحْدَبِ ، ثُمَّ مَدَّ أَصَابِعَهُ فِي حَلْقِهِ ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ قِطْعَةً مِنَ السَّمَكِ ،  
وَنَهَضَ الْأَحْدَبُ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ قَائِمًا يَقُولُ :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، فَمَجَّبَ الْمَلِكُ وَالْحَاضِرُونَ ، وَأَتَمَّ عَلَيْهِمْ  
جَنَائِزَهُمْ بِالْفَقْرِ وَالْمَالِ الْجَزِيلِ ، وَخَلَّى سَبِيلَهُمْ أَجْمَعِينَ .





## خليفة الصياد مع القروء

( ١ )

كان بدينه بغداد في الأزمان الغابرة، صياد يسمى خليفة؛ وكان فقيراً لم يتزوج أبداً، وذات يوم حمل شبكته على كتفيه، وذهب إلى البحر كعادته؛ وهناك على ساحله شعر عن ساعده، وجعل يلقى في البحر شبكته، ثم يجرها إليه، فيجدها فارغة لم تُمسك شيئاً؛ واستمر على هذه الحال عشر مرات، وهو لا يجسد شيئاً؛ فضاقت صدره، واضطرب فيكرهه؟ وجعل يقول: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه؛ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؛ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين؛ اللهم لا راد لقضائك، تَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن تَشَاءُ

وَتَقْدِيرُهُ عَلَى مَنْ تَشَاءُ ؛ فَلكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا قَضَيْتَ ، وَلَكَ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَنْعَمْتَ بِهِ وَأَوْلَيْتَ .

ثم عزم على أن يُلْقِيَ شَبَكَتَهُ الْمَرَّةَ الْأَخِيرَةَ ، لَعَلَّ اللَّهَ لَا يَحْيِبَ رَجَاءَهُ فَرَمَاها فِي الْبَحْرِ بِقُوَّةٍ ، وَأَمْسَكَ حَبْلَهَا ، وَانْتَظَرَ مَلِيًّا ؛ ثُمَّ جَرَّهَا إِلَيْهِ ، فَوَجَدَ فِيهَا قِرْدًا أَعْوَرَ أَعْرَجَ ؛ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاْجِعُونَ ، مَا أَنْعَسَ حَظِّي ، وَأَنْحَسَ طَالِمِي ؛ وَلَكِنْ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ؛ وَأَخَذَ الْقِرْدَ وَرَبَطَهُ إِلَى شَجَرَةٍ عَلَى شاطئِ الْبَحْرِ ، وَلَضِيقِ صَدْرِهِ ، وَتَشَاوُؤِهِ مِنْ هَذَا الْقِرْدِ الَّذِي جَاءَهُ ، هَمٌّ أَنْ يَضْرِبَهُ بِسَوْطٍ فِي يَدِهِ ، فَعَاجَلَهُ الْقِرْدُ قَائِلًا : يَا خَلِيفَةَ ، أَمْسِكْ عَنْ ضَرْبِي ، وَدَعْنِي مَرْبُوطًا إِلَى شَجَرَتِي ، وَارْجِعْ إِلَى الْبَحْرِ فَأَلْقُ فِيهِ شَبَكَتَكَ ، وَارْجُ مِنْ اللَّهِ أَنْ يَرْزُقَكَ ، فَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ .

فَدِهَشَ الصَّيَّادُ مِنْ قِرْدٍ يَتَكَلَّمُ ! وَاخْتَارَ أَنْ يَطْعِمَهُ ، طَعْمًا فِي خَيْرِ يُصْبِيهِ ؛ فَأَلْقَاهَا فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا بَعْدَ مَدَّةٍ قَصِيرَةٍ ، بِجَاءَتِهِ تَحْمِلُ قِرْدًا أَفْلَجَ ، كَحَيْلِ الْعَيْنَيْنِ ، مُخَضَّبِ الْيَدَيْنِ ، يُعْطَى وَسْطُهُ ثَوْبٌ خَلَقَ وَكَانَ يَضْحَكُ . فَقَالَ خَلِيفَةُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ وَرَزَقَ ، يَظْهَرُ أَنَّ الْبَحْرَ قَدْ بَدَّلَ بِسَمَكِهِ قِرودًا وَرَبَطَهُ فِي الشَّجَرَةِ بِحَوَارِ زَمِيلِهِ ثُمَّ قَالَ لِلْقِرْدِ الْأَوَّلِ : مَا أَنْحَسَ مَشُورَتَكَ ! وَهَلْ أَنْالُ خَيْرًا مَا دَمْتُ قَدْ اسْتَفْتَحْتُ بِعَمُورِكَ وَعَرَجِكَ ؟ ! وَرَفَعَ يَدَهُ بِالسَّوْطِ يَرِيدُ ضَرْبَهُ ، فَقَالَ الْقِرْدُ : أَكْرِمْنِي مِنْ أَجْلِ زَمِيلِي هَذَا ، وَابْتَغِ

الخيرَ عنده، فسَتَجِدُهُ سبباً في قضاء ما تريد. فعفا عنه، ورمى السوط من يده.

والتفت إلى القرد الثاني كأنه يسأله: فقال هذا القرد: يا خليفة، إن أنت أظعنتني، ولم تعص لي أمراً — كنتُ السببَ في غِنَاكَ .  
فقال خليفة: وماذا أنتَ أمرٌ به؟

فقال القرد: اذهب إلى البحر، وبعد أن تَلْقَى فيه شَبَكَكَ وتخرِجَها أشيرُ عليك بما أرى.

ففعل ما أَمَر، و طرح شَبَكَته، وأخرجها، فجاءت بقرد ثالث أحمر، مخضَّب اليمين والرجلين. كحل العينين، على وسطه ثوبٌ أزرق، فقال خليفة: سبحان ربِّ العظيم، هذا يومٌ مُبارك من أولِهِ إلى آخِرِهِ، أو ذلك يومُ القُرود؟

ثم التفت إليه قائلاً: وأنت الآخرُ منْ تكون؟!

فقال القرد الثالث: أَلَسْتُ تَعْرِفُنِي؟

فقال خليفة: بَلَى، كُنَّا نَلْعَبُ سَوِيًّا ونُحْنُ صِنَار، ولهذا أَعْرِفُكَ!!  
أخبرني مَنْ أنتَ؟

فقال القرد: أنا قرد أبي السَّعَادَات؛ أَصْبَحَهِ فِيرِيحُ خَمْسَةَ دَنَائِير، وَأُمْسِيهِ فِيرِيحُ خَمْسَةَ دَنَائِير.

فالتفت خليفة إلى القرد الأول؟ ونظَرَ إليه نظرةً غِيظٍ وَاَلَمْ، وقال:  
أَسَمِعْتَ كَيْفَ كَانَ صَبَاحُ قُرُودِ النَّاسِ؟ وَلَكِنَّكَ صَبَحْتَنِي بِعَوْرَتِكَ

وعرجك ، فأعلقت في وجهي أبواب الرزق ، وجعلتني في أسوأ حال .  
ثم هم أن يضر به ؛ فقال القرد الثالث : لا تكن محباً للضرر والأذى ،  
وتمال أرشدك إلى ما فيه صلاحك ونفعك ؛ فأقبل عليه راغباً فيه وقال :  
وماذا أفعل يا سيد القرود ؟

فقال : ازم الشبكة في البحر ، ثم أحضر لي ما تجيء به مهما يكن شأنه  
وبعد ذلك أحدثك بما يسرك .

فلجى إشارته ، فأخرجت له حوتاً كبير الرأس ، له ذنب كالمنرفة ،  
وعينان حمراوان ، كأنهما ديناران ؛ فمظمت دهشته ، لأنه لم يصطد في  
حياته مثل الذي اصطاده هذا اليوم ، ثم أحضره بين يدي قرد أبي  
السعادات كما أمره ، فقال له :

افهم عني ما أقول ، ففيه صلاح شأنك إن شاء الله تعالى .

فقال : إني مطيع فأمر بما تريد .

فقال : اربطني هنا إلى شجرة ، واذهب إلى نهر دجلة ، وارم فيه  
الشبكة ، فإذا أخرجت سمكة كبيرة لم تقع عينك على أجمل منها فهاتها  
وبعد ذلك أشير عليك بما تفعل

ذهب الصياد إلى نهر دجلة ، وطرح شبكته ثم جذبها ، فراها ممسكة  
سمكة كبيرة ، كأنها عجل صغير ؛ فحملها ، وذهب بها إلى قرد أبي  
السعادات .

فلما أحضر السمكة بين يديه أمره أن يضمها في قفة ، بحيث يكون





من تحتها ومن فوقها حشيشٌ أخضر ، ثم يحملُ القفَّةَ ويذهبُ بها إلى مدينةٍ بِنَدَادَ ، وهناك يَدْخُلُ سُوقَ الصَّيَّارِ ، فيجدُ في صدره دكانَ شيخ الصيَّارِ أَبِي السَّعَادَاتِ الْيَهُودِيِّ ، قد جلسَ فِيهِ عَلَى حَشِيَّةٍ ، وَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى مَخْدَةٍ جَمِيلَةٍ . ووضعَ بين يديه صُنْدُوقَيْنِ : أَحَدَهُمَا لِلذَّهَبِ ، وَالْآخَرُ لِلْفِضَّةِ ؛ وتحت يده غِلَامَانَهُ وَمَمَالِيكُهُ .

قال القرد : فإذا كنتَ أمامه فضعُ القفَّةَ بين يديه ، ثم قلْ له :

يا أبا السَّعَادَاتِ ، لقد خَرَجْتُ اليومَ لِلصَّيْدِ ، وطرحتُ الشَّبَكَةَ بِاسْمِكَ في نهرٍ دَجَلَةٍ ، فجاءتني بهذه السمكة ، فقَدِمتُ بها إِلَيْكَ ، فإذا سألكَ : هلْ أَرَيْتَهَا أَحَدًا غَيْرِي ؟ فقلْ : لم يَقَعْ نظرُ أَحَدٍ غَيْرِكَ عَلَيْهَا ، وحينئذٍ يأخذُها مِنْكَ ، فإذا أعطاكَ فيها دينارًا فرُدَّهْ إِلَيْهِ ، فإذا زَادَهُ إِلَى دِينَارَيْنِ فَلَا تَقْبَلْ ، وبها يدفعُ من المَالِ فَلَا تَقْبَلْ حَتَّى يَقُولَ لَكَ : وماذا تريدهُ ثَمَّا اسْمَكْتِكَ ؟ وإِذَا ذَاكَ تَقُولُ : وَاللَّهِ لَا أُبِيعُ سَمَكَتِي هَذِهِ إِلَّا بِكَلِمَتَيْنِ فإذا قالَ : وما هاتانِ الْكَلِمَتَانِ ؟ فقلْ أَنَّنِي تَقِفَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ النَّاسِ وتَقُولُ : أَشْهَدُكُمْ أَنَّنِي بَعْتُ قِرْدَ خَلِيفَةِ الصَّيَّادِ بَقَرْدِي ، وَنَصِيْبَهُ بِنَصِيْبِي وَبَحْتَتِي بِيَحْتِي ؛ فإذا قالَ ذَلِكَ : فَإِنِّي أَصْبِحُكَ وَأُمْسِيكَ ، وترجعُ أَنْتَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّ يَوْمٍ عَشْرَةَ دَنَانِيرَ ؛ وَأَمَّا أَبُو السَّعَادَاتِ الْيَهُودِيُّ فَسَيَكُونُ قَرْدَكَ الْأَعْوَرِ سَبَبًا فِي فَنَاءِ ثَرْوَتِهِ ، وَصَيَّاعٍ مَالِهِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، حَتَّى يُصْبِحَ فَقِيرًا مُعْدِمًا لَا يَمْلِكُ شَيْئًا .

فقال خَلِيفَةُ : فهِمْتُ كُلَّ شَيْءٍ يَا سَيِّدَ الْقُرُودِ ..

فقال : أما نحن — القروود والحوت — فاتركنا نذهب إلى البحر كما كنّا ، فسرّحهنّ جميعهنّ ، واختفّينّ فيه .

أما خليفة فإنّه حمل السمكة في قفّته ، ومشى إلى بغداد ، فجعل الناس يسألونه : ما معك يا خليفة ، ولكنّه لا يلتفت إلى أحدٍ منهم ، حتّى كان أمام أبي السعادات في دكانه ، فمرفه وقال :

أهلاً بك يا خليفة ، ما حاجتك ؟ إن كان قد ظلمك أحدٌ فأخبرني لأذهب معك إلى الوالى ليُرَدَّ إليك الحقّ ممّن ظلمك .

فقال خليفة ما ظلمت ولا خاصمت أحداً ، ولكننى خرجت من بيتى إلى نهر دجلة ، وألقيت فيه شبكتى ناوياً فى نفسى أن ما يخرج فيها من بختك ، فوجدت فيها هذه السمكة فجئت بها إليك ، ثمّ أخرجها خليفة من قفّته ووضعها بين يديه ، فأعجبته السمكة وفرح بها ، ثم قال : وحقّ التوراة لقد رأيت البارحة فى المنام كأتى بين يدى العزيز يقول لى : لقد أرسلت إليك هديّة مليحة ، وأرجو أن تكون الهدية تلك السمكة وشكرك لى إذ كانت على يدك .

ثمّ سأله قائلاً : بحقّ دينك هل راها أحدٌ غيرى ؟

فقال : وربّ الكعبة لم يرها إنسانٌ غيرك وغيرى .

فأمر اليهودى أحد غلمانها أن يحملها إلى بيتّه ، وقال : قلّ لسعاد : تقبلى وتشوى منها ، وتهى لنا الطعام حتّى أعود ، فحملها الغلام وذهب إلى بيت أبي السعادات .

أما هو فقد أعطى خليفة ديناراً ، فأخذه في تلهفٍ ومضى ، ثم تذكر وصية القرد له فرجع إليه ، وألقى ديناراً في حجره ، وقال : خذ دينارك وهاتِ سمك الناس ، ولا ينبغي أن تبخسهم أشياءهم ، فناوله اليهودي ثلاثة دنانير ، فقال :

قلتُ لك لا تسخر من الناس ولا تبخسهم أشياءهم ، ولن أرضى بهذه الثلاثة ثمناً للسمكة ؛ فزادها اليهودي إلى خمسة دنانير ، فأخذها خليفة ومضى فرحاً بها ، وجعل يقلبها في يديه ، ويقول :

أصبحت أغنى من خليفة بغداد ، فليس معه من المال مثل ما معي ؛ حتى أوشك أن يخرج من السوق . ثم تذكر وصية القرد فرجع مسرعاً ورمى بالدنانير الخمسة بين يديه ، فقال اليهودي : ماذا تحب يا خليفة ؟ أتحب أن أبدل بالذهب دراهم ؟

فقال : لا أحب دراهم ولا دنانير ، ولكنني أريد سمكتي .

فغضب اليهودي ، وقال : كيف تأتي بسمكة لا تساوي ديناراً واحداً ، فأعطيك عنها خمسة دنانير ولا ترضى ؟! ما هذا فعل صيادٍ عاقل أخبرني : كم ديناراً تحب أن تكون ثمناً لسمكتك ؟

فقال : لا أريد أن أبيعها بذهب ولا فضة ، ولا أريد ثمنها إلا كلتين اثنتين .

فغضب اليهودي وقال : يا لاهظاعة ! أتريد أن أفارق ديني الذي وجدت عليه أبائي من أجل سمكتك ، ثم أمر غلماناً أن يضربوه فما زالوا

يضرّبونه حتى أمرهم بالكفّ عنه ، ثمّ قال له : أىّ ثمنٍ تقترحه ثمنًا لهذه السمكة فإنى مُعطيكه لأنك لم تنل منّا إلا الضربَ والأذى .

فقال خليفة : لا تخفّ ولا تفرح ، فإنى أحتملُ من الضرب ما يحتمله عشرةٌ حمير .

فضحك اليهودى وقال : لاتتعبني وتتعب نفسك معي ، فأىّ شيء تريدُه منّا ؟

فقال : كلتيان .

فقال : لعلك تريدُ أن أسلم ؟

فقال لا : لا ، لأنّ إسلامك لا ينفعُ المسلمين ، ولا يضرُّ الكفار ؟ كما أن كفرك لا ينفعُ الكفار ولا يضرُ المسلمين ؛ ولكنى أطلبُ إليك أن تنهض قائمًا وتقول : اشهدوا يا أهل السوق أنى قد بدّلتُ قرْد خليفة بقردى ، وبحمّته يبخى ، فقال اليهودى : ذلك هيّ علينا ، وليتك أخبرتنا به قبل ضربك . ثم انتصب قائمًا وقال ما اقترحه عليه خليفة ، ثم سأله : هل بقي لك شيء عندى بعد هذا ؟

فقال : لا .

فقال اليهودى : مع ألف سلامة .

ترك خليفة اليهودى وذهب إلى نهر دجلة ، وألقى فيه شبكتَه ، فخرجت تحمّل إليه كثيرًا من أنواع السمك ؛ وفي الحال أقبل عليه الحرفاء والزبائن واشتروا ما معه من السمك بعشرة دنانير ، واستمر عشرة أيام على هذه

الحال يبيع كل يوم ما يصيده من سمك بعشرة دنانير . حتى جمع من ذلك في تلك المدة مائة دينار . كان حريصاً على ادخارها ، وعدم إنفاق شيء منها ، مخافة أن يظهر عليه اليسارُ دفعةً واحدةً

وذات ليلة قال في نفسه وهو في بيته : لقد جمعتُ الآن من صيد السمك مائة دينار ، ولا بدُّ أن يتحدث الناس في ذلك ، وربما وصل هذا الخبر إلى هارون الرشيد ، فيسألني أن أقرضه المائة دينار فأكذب عليه وأنكر ملكها ، فيأمرَ واليه أن يوجعني ضرباً حتى أعترف بها وأحضرها إليه ، وتلك ورطة ليس وراءها إلا الخسارة والأذى ؛ والرأى السليم عندي أن أقوم الآن فأتدرب على الضرب وتحملِه ؛ ثم تجرد من ثيابه ، وأمسك سوطه بيده ، وجعل يضرب نفسه ضربة ، ويضرب مخدة من جلده كانت عنده ضربة ، وهو في أثناء ذلك يصيح قائلاً : آه ، آه ، والله إني فقير ، ولا أملك شيئاً ، وما بلغتُ إلا محض الكذب والافتراء : وكان لهذا الصباح صدّى ودوى في سكون الليل ، فظن الناس أن جماعة من اللصوص هجموا على خليفة في منزله ، وهم الآن يؤذونه ويحاولون نهبه ، وهو يستغيث ويطلب النجدة بصياحه هذا الذي أزعج الليل وسكونه ؛ ثم خفوا مسرعين إلى بيته لإنقاذه فوجدوه مُقفلًا ، فوصلوا إليه من سطح منزله ، فوجدوه قد تجرّد من ثيابه ، وأنه هو الذي يضرب نفسه ، فسألوا عما دعاه إلى أن يفعل ذلك ، فحكى لهم ما حدثته به نفسه ، فضحكوا وعجبوا ، وقالوا : خيبتك في عقلك :

أعظم من خيبتك في مالِك ، ولقد أَقْلَقْتُ راحتنا ، وأزعجت هدوءنا ، وإيَّاكَ أَنْ تَعُودَ إلى مثل هذا ، ثم انصرفوا ونام هو بيته إلى الصباح .  
ولما استيقظَ فكَّرَ في أمر المائة الدينار ، فقال : إن تركتها في البيت  
فربما سُْرِقَتْ في غيبتى ، وأرى أن أضهما في جيب جِبتى هذه البالية  
الممزقة ، التى أَلْسَمَهَا في أثناء الصَّيْدِ ، وحينئذٍ لا يَظُنُّ أَحَدٌ أنها تحملُ  
مالاً ، وكذلك فعل ،

ثم أخذ قَفَّتَهُ وعصاهُ وشبكته ومشى إلى نهر دجلة ؛ وهُنَاكَ جعلَ  
يُلْقِي شَبَكَتَهُ ، ويُخْرِجُهَا دُونَ أَنْ تَحْمَلَ لَهُ شَيْئاً ؛ وبعد كلِّ مَرَّةٍ يَنْتَقِلُ مِنْ  
مَكَانٍ إِلَى آخَرٍ حَتَّى بَعْدَ عَنِ الْمَدِينَةِ مَسِيرَةَ نِصْفِ يَوْمٍ ، وهو لا يزالُ في  
خَيْبَتِهِ وَحِرْمَانِهِ ، فضاقت صدرُهُ ، وقال في نفسه : أَلْقَى شَبَكَتِي لِلْمَرَّةِ  
الْأَخِيرَةِ ، وَسِوَاهُ عَلَىَّ أَحْمَلْتُ إِلَى شَيْئاً أَمْ لَمْ تَحْمَلْ ، فَإِنِ عَائِدْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ  
بِعِدْهَا ؛ وَبِقُوَّةِ الْغَاظِ الْثَائِرِ الْيَائِسِ أَلْقَى شَبَكَتَهُ ، فَطَارَتْ صُرَّةُ  
الدَّنَانِيرِ مِنْ جِيبِهِ إِلَى النِّهْرِ مِنْ شِدَّةِ حَرَكَتِهِ ، فَأَخْرَجَ فِي الْحَالِ الشَّبَكَةَ  
وَنَزَعَ عَنْهُ ثِيَابَهُ ، وَنَزَلَ فِي النِّهْرِ يَجْرِي وَرَاءَ الصُّرَّةِ الَّتِي حَمَلَهَا التِّيَارُ وَسَارَ  
بِهَا فِي مَجْرَاهُ ، تَارِكاً عَلَى الشَّاطِئِ ثِيَابَهُ وَقَفَّتَهُ وَعَصَاهُ وشبكته ، وَعَبَثًا  
حَارَلَ أَنْ يَمُوتَ عَلَى صُرَّةِ دَنَانِيرِهِ ، فَرَجَعَ خَائِبًا حَزِينًا . فَمَا وَجَدَ إِلَّا الْعَصَا  
وَالْقَفَّةَ وَالشَّبَكَةَ ؛ أَمَا جِيبُهُ فَلَمْ يَجِدْ لَهَا أَثَرًا ، فَتَلَفَعَ بِحُزْنِهِ وَخَيْبَتِهِ وشبكته  
وَوَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ قَفَّتَهُ وجعل يسير على غير هُدًى

أما هارون الرشيدُ فقد كان ابنُ القُرَاصِ تاجره وصاحبه . وكان

لا يَبَاعُ شَيْءٌ فِي الْمَدِينَةِ مِنْ بَضَاعَةِ أَوْ مِمَالِيكَ وَجَوَارٍ إِلَّا عُرِضَ عَلَيْهِ قَبْلَ بَيْعِهِ . فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي دُكَّانِهِ إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ أَحَدُ الدَّلَّالِينَ ، وَمَعَهُ جَارِيَةٌ تَسْمَى قُوتَ الْقُلُوبِ ، لَمْ تَرَ عَيْنَ مِثْلِهَا حُسْنًا وَجَلَالًا ، وَلَمْ يَسْبِقْهَا أَحَدٌ فِي تَقَاتُهَا وَمَعْرِفَتِهَا الْعُلُومَ وَالْفُنُونِ ، وَالْآدَابِ ، وَالْغِنَاءِ ، وَالضَّرْبِ عَلَى آلَاتِ الطَّرَبِ ، فَاشْتَرَاهَا ابْنُ الْقُرَنَاصِ بِخَمْسَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، وَكَسَاهَا بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَذَهَبَ بِهَا إِلَى الْخَلِيفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ ، فَبَاتَتْ عِنْدَهُ لَيْلَةً ، عَرَفَ فِيهَا مِزَاجَ مَا عَلَيْهِ الْجَارِيَةُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّهَا اخْتَبَرَتْ فِي مَجْلِسِهِ فَكَانَتْ سَبَاقَةً لَا يُشَقُّ لَهَا عُقْبَارُ .

وَفِي الصَّبَاحِ أَمَرَ الْخَلِيفَةُ أَنْ يَحْضُرَ إِلَيْهِ ابْنُ قُرَنَاصٍ ، فَلَمَّا حَضَرَ تَقَدَّمَ عَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ ثَمَنًا لِلْجَارِيَةِ ، وَقَدْ مَلَكَتْ عَلَيْهِ قَلْبُهُ ، حَتَّى أَنَّهُ أَغْفَلَ مِنْ عَدَاهَا مِنْ جَوَارِيهِ وَلَسَائِهِ ، وَحَبَسَ نَفْسَهُ فِي قَصْرِهَا لَا يَبْرَحُهَا إِلَّا لِمَصَلَاةِ الْجُمُعَةِ مَدَّةَ شَهْرٍ كَامِلٍ ، حَتَّى عَظُمَ ذَلِكَ عَلَى أُولَى الشَّأْنِ مِنْ أَرْبَابِ الدَّوْلَةِ . وَشَكَوْا إِلَى جَعْفَرٍ كَبِيرِ وَزَرَاءِهِ .

اِنْتَظَرَ جَعْفَرٌ حَتَّى اجْتَمَعَ بِهِ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَجَعَلَ يَقْصُصُ عَلَيْهِ مِنْ نَوَادِرِ الْعَشَقِ حَتَّى قَالَ الْخَلِيفَةُ : لَقَدْ وَقَعْتُ فِيمَا وَقَعَ فِيهِ الْعِشَاقُ وَأَصْبَحْتُ مِنْهُ فِي وَرْطَةٍ قَاسِيَةٍ لَا أَدْرِي لِي مَخْلَصًا مِنْهَا .

فَقَالَ جَعْفَرٌ : اِمْتَلَأْ الشَّيْءَ يَقْلُ الرِّغْبَةُ فِيهِ وَيُطْفِئُ لَهْيَبَ الشَّغَفِ بِهِ ، وَلَيْسَ لِلْمَاوُكِ مِنْ وَسَائِلِ الْمَرَحِ وَاللَّهْوِ أَكْرَمٌ مِنَ الصَّيْدِ وَالْقَنْصِ ، فَلَا بَأْسَ أَنْ يَكُونَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّ يَوْمٍ حِظٌّ وَفِيرٌ ، وَرَبَّمَا



كان هذا من عوامل السُّلُو، والقهر من إلحاح الرغبة والهوى .

فقال الخليفة : ذلك حسنٌ ، ولنمضِ إلى الصيد بعد صلاة الجمعة .

سارَ العسكر والبرامكةُ أمام الخليفة وجعفر وزيره إلى البرية ، وكانا راكبين بغلتين ، فشغلها الحديثُ في بعض الأمور عن الجد في السير وانقطعا عن العسكر ، وأحسَّ الرشيدُ إذ ذاك عطشاً شديداً ، فنظر حواله فرأى على كومة عاليةٍ شجراً ، فقال لوزيره : هل ترى ما أراه الآن ؟

فقال : نعم ، أرى شجراً على كومة عالية ، قد يكون لحارس بستان ، أو حارس مزرعةٍ لقنّاء ، وأغلب الظنُّ أنه في مكان لا يخلو من ماء ، فإنَّ اذن الخليفة ذهبت إليه ، وأحضرت الماء لتشرب هنيئاً :

فقال : الرشيد بغلتي أسرع من بغلتك ، فقف أنت هنا حتى تكون على مرأى من العسكر إلى أن أذهب إليه فأشرب فأعود سريعاً . ونمَرَ الرشيدُ بغلته ، فانطلقت كالسهم مسرعة ، وما هي إلا برهة عاجلة حتى كان عند الشَّجَر والكومة العالية ، وكان ذلك الشَّجَر خليفة الصياد ، جلس متلفعاً بشبكته ، ليستر بها جسمه ، تبدو عليه آثار التعب والغم العظيم ، فسَلَّمَ الرشيدُ عليه ، فردَّ عليه تحيَّته ، ثم سأله الرشيد : هل عندك بعض من الماء ؟

فأجابه : رحم الله أهل النظر والبصيرة ، يُخَيِّلُ إلى أنك أعمى أو غبي ، إن الماء في نهر دجلة ، خلف هذه الكومة ، فأسرِع الرشيدُ إليه وشرب

من مائه وسقى بقلته ، ثم رجع إلى الصياد فسأله : ما شأنك أيها الرجل ؟  
وما صنعتك ؟

فقال : ورحم الله أهل النظر والبصيرة أيضاً ، فهذا أغرب من سؤالك  
عن الماء أما ترى آلة صنعتي متلفعة بها ؟  
فقال الخليفة : كأنني بك صياد ؟

فقال نعم .

فسأله : وأين جُبَّتْك وشملتْك وثيابك وحزامك ؟  
فظنَّ خليفة أنه هو الذي سرق جَبْتَه وقام إليه مُمسكاً لجام بقلته وقال :  
هاتِ جُبَّتِي واترك هذا المزاح .

فقال الرشيد : والله ما رأيتُ لك ثياباً ، ولا أخذتُ لك شيئاً .  
فقال لا أظنك إلا مغنياً أو زامراً تمزح كثيراً ، فهاتِ ثيابي بالتي هي  
أحسنُ ، وإلا ضربتك بهذه العصا حتى تبول رعباً وألماً .  
خاف الرشيد ، وقال في نفسه : والله لا أحتملُ ضربة واحدة بهذه  
العصا ، ثم نزع عنه قباؤه وقال :

خذ هذا عوضاً عن ثيابك ، وكان من الأطلس ، فجعل يقلبه وينظر فيه  
ثم قال إن جبتي تساوي عشرة أمثال هذا .  
فقال الرشيد : البسهُ حتى أحضرها .

فلما لبسه وجده طويلاً فنزع سكيناً مربوطةً إلى أُذُن قُمته وقطع  
من أسفل القباء مقدار ثلث طوله ، حتى صار إلى تحت ركبتيه إذا ما لبسه



ثم التفت إليه ، وقال :

يا لله أيها الزامر ، أخبرني عن مقدار ما تكسبه كل شهر من زورك .  
فقال : عشرة دنانير .

فقال الصياد : مسكين أيها الزامر ، إن مقدار ما تكسبه كل شهر  
أكسبه في اليوم الواحد ، فهل ترغب أن تكون في خدمتي ، وأعلمك  
الصيد ، على أن تقاسمني الدنانير العشرة كل يوم ، فتأخذ منها خمسة ،  
وآخذ منها خمسة ؟

فقال الرشيد : رضيت بذلك .

فقال الصياد : انزل عن نعلاتك وقبدها ، فإنها تنفعنا في حل ما نصيد  
من السمك ونقله ، وتمال معي أعلمك الصيد هذه الساعة .  
ولما كانا عند دجلة أمره أن يشمر عن ساعديه وساقيه ، وعلمه  
كيف يحمل الشبكة على ذراعيه ، وكيف يلقها في النهر ، ففعل الرشيد  
كما علمه ، وجر الشبكة بعد أن ألقاها في النهر ، فلم يستطع أن يحررها  
من مكانها ، فساعدته خليفة في إخراجها فلم تطاوعهما .

فقال الصياد :

لقد أخذت قبائك في جيبتي ، وسأخذ بنعلتك في شبكتي إن مرق  
شيء منها ، وسأضربك بعصاي ضرباً موجعاً .

فقال الرشيد : نستعين بالله ، ولنعيد جرّها معاً ، ففعلّا ؛ وبعد تعب

ومشقة كانت الشبكة مملوءة بأنواع السمك أمامهما على الشاطئ ، ففرح خليفة ، وقال للرشيده :

إنك زامر قبيح ، ولكن سيكون لك مستقبل ناجح في صيد السمك ؛ فازكب بفمك وأحضر لنا من السوق قفتين كبيرتين ، لننقل هذا السمك فيهما إلى السوق حيث نبيعه ، ونقبضُ منه ، الذي يبلغ عشرة دنانير .

فقال الرشيده : سمعاً وطاعة .

وقرَّ بيفلته وهو يضحك إلى جعفر ، وكان لا يزال في مكانه ينتظر ، فقال للرشيده :

لعلك وجدت إستاناً خبسك جماله هذا الوقت الطويل ؟ !  
فضحك الرشيده وأغرق في الضحك حتى أمسك على بطنه ، وكان مع جعفر جماعة من البرامكة رجعوا إليه من العسكر يسألون عن الرشيده وغيبته ، فقالوا له :

وما سببُ تأخرِكَ هذه المدة الطويلة ، حين ذهبتَ تطلبُ الماء لتشرب ؟ !

فقص عليهم قصته ، ولم يترك منها شيئاً ، فضرب جعفر كفاً بكف وقال :

صانعُ مني القباء ، لقد كنت عازماً أن أطلبُ هذا القباء لنفسى ، ولو لم يتلفه الصياد بتقصيره لاشتريته منه .

فقال الرشيد : لَيْتَ الأمرُ وقفَ عندَ تلفِ القباءِ ، لقد تعبتُ في صيد السمك ، وخَفَّفَ عَنِّي هذا التعبُ أنْ كَانَ سَمَكًا مَا أَجْمَلُهُ وَإِنَّ أَيْةَ سَمَكَةٍ تَأْتِيَنِي مِنْهُ أَدْفَعُ ثَمَنَهَا دِينَارًا دَهَبًا .

فَنَادَى مُنَادٍ فِي الْعَسْكَرِ أَنْ اشْتَرُوا سَمَكًا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَانْطَلَقَ الْمَالِيكَ كَالْجَرَادِ إِلَى نَهْرِ دَجْلَةَ وَجَعَلُوا يَشْتَرُونَ ، حَتَّى بَاعَ الصَّيَادُ السَّمَكَ بِعِشْرِينَ دِينَارًا ، وَبَقِيَتْ مَعَهُ سَمَكَتَانِ ، فَأَمْسَكَ إِحْدَاهُمَا بِيَدِهِ الْيُمْنَى ، وَأَمْسَكَ الثَّانِيَةَ بِيَدِهِ الْيُسْرَى ، وَنَزَلَ فِي النَّهْرِ إِلَى عَقْبِهِ وَقَالَ :

يَا رَبِّ ، بِحَقِّ الْبَيْتِ الْحَرَامِ أَنْ تُخَضِّرَ شَرِبَكِي الزَّامِرَ هَذِهِ السَّاعَةَ ، حَتَّى يَأْخُذَ مِنْ ثَمَنِ السَّمَكِ نَصِيبَهُ . وَإِذَا بَعْدُ مِنْ عَبِيدِ الْخُلَيْفَةِ فَدُ خَضِرَ ، وَكَانَ الْمَقْدَمُ فِيهِمْ ، فَقَالَ :

بَعْنِي بِاصْيَادُ مَا مَعَكَ مِنَ السَّمَكِ ، فَقَالَ :

لَيْسَ مَعِيَ سَمَكٌ لِلْبَيْعِ ، فَأَمَضُ إِلَى سَبِيلِكَ ، وَلَا تَكُنْ ثَرثارًا .

فَرَفَعَ الْعَبْدُ يَدَهُ بِالْدَبُوسِ يَرِيدُ ضَرْبَهُ ، خَفَافَ الصِّيَادِ ، وَقَالَ :

لَا تُعَجِّلْ بِالْأَذَى ، فَإِنَّ الْمَعْرُوفَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ، ثُمَّ رَمَى إِلَيْهِ السَّمَكَيْنِ ، فَوَضَعَهُمَا الْعَبْدُ فِي مَنْدِيلِهِ ، وَقَالَ :

إِذَا كَانَ الْغَدُ فَأَذْهَبْ إِلَى دَارِ الْخُلَافَةِ ، وَاسْأَلْ عَنِ الْعَبْدِ صَنْدَلٍ ، لِأَعْطِيكَ ثَمَنِ السَّمَكَيْنِ ، ثُمَّ تَمْضِ لَشَأْنِكَ ، إِذْ لَيْسَ مَعِيَ نَقُودُ الْآنَ .

فَقَالَ الصِّيَادُ :

أَرِنَا فَقَالَكَ ، وَغَدًا يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ .



خرج الصياد من النهر وقال :

الحمد لله ، هذا رزقنا ما له من نفاذ ؛ ثم عاد مُسرِعاً إلى داره في بغداد  
فَعَجِبَ كُلٌّ مَنْ رَأَاهُ فِيهَا ، إِذْ عَرَفُوا عَلَيْهِ قَبَاءَ الْخَلِيفَةِ ، وَكَانَ أَشَدَّهِمْ عَجَبًا  
خَيَّاطُ الرِّشِيدِ الَّذِي صَنَعُهُ وَخَاطُهُ ، فَلَمَّا سَأَلَهُ :

من أين لك هذا القباء يا خليفة ؟

فَقَالَ : مِنْ رَجُلٍ عَلَّمْتَهُ الصِّيدَ فَأَصْبَحَ تَلْمِيزِي وَأَنَا مُعَلِّمُهُ ، وَكَانَ قَدْ سَرَقَ  
جُبَّتِي فَأَعْطَانِي هَذَا الْقَبَاءَ عَوَضًا ، وَعَفَوْتُ عَنْهُ ؛ فَعَرَفَ الْخَيَّاطُ أَنَّ الْخَلِيفَةَ  
قَابَلَهُ وَمَزَحَ مَعَهُ ، وَأَعْطَاهُ فِي النِّهَايَةِ قَبَاءَهُ ، ثُمَّ ذَهَبَ الصَّيَادُ إِلَى بَيْتِهِ .

( ٣ )

كَانَتِ السَّيِّدَةُ زَيْدَةُ قَدْ أَخَذَتْهَا الْغَيْرَةُ مِنْ قُوَّةِ الْقُلُوبِ ، وَهِيَ أَمِيرُ  
الرِّشِيدِ بِهَا ، فَانْتَهَزَتْ غَيْبَةَ الرِّشِيدِ فِي الصِّيدِ وَدَبَّرَتْ مَكِيدَةً لِلتَّخْلُصِ  
مِنْهَا ؛ فَمَاذَا فَعَلَتْ ؟

أَمَرَتْ السَّيِّدَةُ زَيْدَةُ جَوَارِيَهَا أَنْ يُعِدِدْنَ طَعَامًا فَاخِرًا ، جَمَعَ مِنْ  
أَلْوَانِ الْأَطْعِمَةِ أَغْلَاهَا وَأَشْنَاهَا .

ثُمَّ وَضَعَتْ فِي صُفْهَةٍ وَاحِدَةٍ لِلْحُلُوى بِنَجًّا ، وَبَعَثَتْ فِي طَلَبِ الْجَارِيَةِ  
قُوَّةِ الْقُلُوبِ ، وَقِيلَ لَهَا :

إِنَّ السَّيِّدَةَ زَيْدَةَ ، زَوْجَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، شَرِبَتْ الْيَوْمَ دَوَاءً ، وَرَغِبَتْ  
أَنْ تُسَرَّى عَنْهَا بِمَا تَسْمَعُهُ مِنْ غَنَائِكَ الشَّهْهِ ، وَإِيَّاعِكَ الْجَمِيلِ .



فَقَالَتْ : أَنَا فِي خِدْمَةِ سَيِّدَتِي وَزَوْجِ سَيِّدِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَسَمِعَا  
وِطَاعَةً — وَلَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ مَا تُضْمِرُهُ لَهَا الْيَوْمَ .

وَلَمَّا كَانَتْ أَمَامَ السَّيِّدَةِ زَيْدَةَ سَأَلَتْ قَائِلَةً :

السَّلَامُ عَلَى السَّيِّدَةِ الرَّفِيعِ ، وَالْجَنَابِ الْمُنِيعِ ، وَالسَّلَاطَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ الْكَرِيمَةِ ،  
وَالْبُضْعَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ ؛ أَدَامَ اللَّهُ أَيْامَكَ مَقْرُونَةً بِالْيَمْنِ وَالسَّعَادَةِ ؛  
ثُمَّ مَكَثَتْ وَاقِفَةً مَعَ الْجَوَارِي مُنْتَظِرَةً أَمْرَ سَيِّدَتِهَا .

وَنَظَرَتْ إِلَيْهَا السَّيِّدَةُ زَيْدَةُ ، فَوَجَدَتْهَا أَسِيلَةَ الْخُلَدِيِّينَ ، حَوْرَاءَ الْعَيْنَيْنِ  
رَمَائِيَّةَ النَّهْدَيْنِ ، ذَاتَ جَبِينٍ زَاهِرٍ ، وَجَفْنَيْنِ سَقِيمٍ فَاتِرٍ ، وَشَعْرَ مَرْسَلٍ  
طَوِيلٍ ، كَأَنَّهُ اللَّيْلُ ، وَثَغْرَ كَأَنَّهُ الْوَلُولُ وَالْمَرْجَانُ ، ثُمَّ قَالَتْ :

وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ، أَهْلًا وَمَرْحَبًا بِقُوتِ الْقُلُوبِ ، اجْلِسِي وَغَنِّي .

فَجَلَسَتْ ، وَتَنَاوَلَتْ عَوْدَهَا ، فَشَدَّتْ أَوْتَارَهُ ، وَعَرَكَتْ آذَانَهُ ،  
وَضَمَّتْهُ إِلَى صَدْرِهَا ؛ ثُمَّ ضَرَبَتْ وَغَنَّتْ فَأَعْجَبَتْ وَأَطْرَبَتْ ، وَقَامَتْ بَيْنَ  
يَدَيِ السَّيِّدَةِ زَيْدَةَ فَلَمَبَتْ بِالشَّعْوَذَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ كُلِّ فَنٍّ غَرِيبٍ ، حَتَّى  
كَادَتْ تَمَشَّقُهَا ، وَتَعْذِرُ الرَّشِيدَ فِي عَشِيرَةِ إِيَّاهَا .

ثُمَّ اسْتَأْذَنْتْ وَقَعَدَتْ ، فَقُدِّمَ لَهَا الطَّعَامُ وَفِيهِ الْبَنْجُ ، فَلَمَّا شَبِعَتْ غَادَ  
وَعِيَهَا ، وَسَقَطَتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا .

فَأَمَرَتْ السَّيِّدَةُ زَيْدَةُ أَنْ تُحْمَلَ وَتُودَعَ فِي مَقْصُورَةٍ مِنْ مَقْصُورَاتِ  
الْقَصْرِ حَتَّى تَطْلُبَهَا ، فَأُودِعَتْ حَيْثُ شَاءَتْ ، ثُمَّ أَمَرَتْ أَنْ يُصْنَعَ صُنْدُوقٌ

خشبي على قدّها ، وأن يُبنى قَبْرُهَا ، وأن يُعلموا نبأ وفاتها ، بُعِثَتْ  
وَشَرْقَةً مَعًا ، وَأُنْذِرَتْ بِالْقَتْلِ مَنْ يَقُولُ عَنْهَا غَيْرَ ذَلِكَ .

ولما رَجَعَ الخليفة سأل عن قوت القلوب ، فقيل إنها عُصَّتْ بالطعام ،  
فَأَتَتْ ، ودُفِنَتْ ، فوقفَ على قبرها وقفة طويلة حزينة ، ثم انصرفَ  
إلى غرفة راحته .

فَأَيَقَنْتِ السيدة زُيْدَةَ أن تديرها قد نجحَ ، فَأَمَرَتْ أن توضع  
قوت القلوب في الصندوق الخشبي ، وأن يُباعَ في السوق مُقَفَّلًا وَيُتَصَدَّقَ  
بِشَمْنِهِ .

أما خليفة الصياد ، فإنه ذهبَ في موعده إلى دار الخليفة ، وطلب  
لقاء المملوك صَنْدَلْ ، فلما جاءه قال له :

جديرٌ بالأمين الوفي أن يصدقَ الناسَ وَعَدَهُ .

فقال صندل : ذلكَ حقٌّ . تَفَضَّلْ ، واجلس هنا على هذا الكرسيّ ،  
حتى أحضرَ لكَ ثَمَنَ السمك ، ولكن جعفرًا كان قادمًا من عند الخليفة ،  
فرأى الصياد جالسًا وهو على حالة تَلَفَتْ النَظَرَ ، وتبعث على التساؤل ؛  
فسأل عنه العبد صندلا ، فقال : أَلَا تَعْرِفُ هذا يا سيّدى الوزير ؟

فقال : وكيف أعرفه ، ولم أره إلا هذه الساعة ؟

فقال : هذا خليفة الصياد ، الذى اشترينا سمكه لأمر المؤمنين ، جاءنى  
لأُعْطِيَهُ ثَمَنَ السمك الذى اشتريته منه .

فابتسم جعفر وقال : أَلَسْتَ أَنْتَ تَعْرِفُهُ ؟ !

فقال : لا أعرفُ إلا أنه خليفة الصياد ، وقد جاء ليأخذ من سمكه .  
فقال جعفر : هذا مُعلِّمُ أمير المؤمنين وشريكه ، والحمد لله الذي جاءنا  
في وقت الحاجة إليه ، فإن أمير المؤمنين في حُزن عميق ، وهو في حاجة  
إلى مَنْ يُسَلِّيه ، فلا تُمكنه من الرواح حتى أستاذن في أمره أمير المؤمنين .  
فأمرَ صندل المماليك أن يقبضوا عليه ، ولا يمكنوه من الفرار ؛  
فأخذوه وجبسوه ، فعجب من ذلك ، وقال : الحمد لله الذي لا يُحمد على  
مكروه سواه ، أصبح الطالبُ مطلوباً ، وصاحب الحق محبوباً ،  
فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ورجع جعفر إلى الخليفة فوجده مُطرقاً ، فسلم ، وقال : أياذن لي  
أمير المؤمنين أن أتكلم وليسَ عليَّ من حرج .

فقال : ومتى كان عليك حرجٌ وأنت كبيرُ الوزراء ؟ تكلم عما تشاء .  
فقال : خرجتُ الآن من عندك فوجدتُ بباب قصرِكَ مُعلِّمَكَ  
وشريكَكَ خليفة الصياد يقول : علمته الصيد ، وأرسلته ليحضرَ لي  
قفتين ، فلم يرجع ، فأين حرمةُ المعلم ، وإخلاصُ الشُّركاء ؟ ! فإن لم يكن  
لك غرضٌ في شركته فأخبرهُ حتى يبحثَ له عن شريكٍ غيرك .

فبسم الخليفة ضاحكاً ، وقال : أحقَّ هذا الذي تقول ؟ ؟

فقال : وحيّاكَ أمير المؤمنين ، إن خليفة الصياد يبابك .

فقال الخليفة : سأقضى لهذا الصياد ما يُريده له القضاء ، من سعادَةٍ  
أو شقاء ، ثم أمر أن يُمدَّ ورق صغير ، وأن يُكتبَ في كل ورقة نصيبٌ

من المال، من عشرين ديناراً إلى ألف دينار؛ وأن تُوزَّعَ مراتبُ الدولة في ورق آخر، من أقلِّ منزلةٍ إلى الخلافة؛ وأن يكتب في ورق آخر أيضاً عشرون صنفاً من أصنافِ العقاب، من أقلِّ تعزيرٍ إلى القتل؛ ثم قال: سأمره أن يأخذ ورقة واحدة من هذه الأوراق بعد خلطها في كيسٍ، وسأقضى له بما هو في الورقة التي تخرجها من الكيس يده، ولو كان فيها الخلافة، أو كان فيها قتله؛ فاذهب وائتني به؛ فذهب إليه وهو يقول في نفسه: لا حول ولا قوة إلا بالله، لقد كنتُ سبباً في مصيرٍ محتوم، ولا أدرى أهو شرٌّ فأندم، أم هو خيرٌ فأغنم؟! ولا بد من طاعة أمير المؤمنين، وتنفيذ حكمه؛ فلا حضره، ولنسكن إرادة الله تعالى.

وأمسك جعفرُ يدَ الصياد، وسارَ به، والعبيدُ من خلفه وقُدَّامه، فدهش، وقال في نفسه؛ ماذا فعلتُ في يومى هذا حتى أصبحتُ كالأسير؟! وماذا هم فاعلون؟! اللهم إني أسألتُ أمرى إليك فادفع السوء عني، ونجِّني من القوم الظالمين.

ودخل به جعفرُ على الخليفة وهو جالسٌ على سريرٍ مُلكه، يتلأُّ ذهبه، وتبرِّقُ جواهره، وأمَّامه البُسْطُ السندُسيَّة، تجعلُ الداخل يُخشى أن تطأها قدَّمه، ومن حوله كراسيٌ تُلقَى في النفس هيبةٌ وجلالاً؛ وقد اصطفَّ الحرسُ مُدَجَّجين بالسلاح أمامَ غرفته يميناً وشمالاً، فلما رآه الصيادُ قال: أهلاً بالزَّامر، وكيف تتركُنِي على نهرٍ دجلة بعد أن علمتكَ الصيدَ، وأصبحتَ غلامى وشريكى؟

لقد كنت سبباً في خسارتنا ، وبيع السمك بثمان بجنس ، فقد نهبه المالك ، ولم يدفعوا إلا ثمناً يسيراً ؛ ولو أحضرت القفتين لبعنا السمك في بغداد بمائة دينار ؛ وقد جئت الآن أطلب بقية ثمن السمك فقبضوا على وجهسوني ، وأنت ، من حبسك في هذا المكان ؟

فتبسم الخليفة . وقال : تقدّم وخذ لك ورقة من أوراق هذا الكيس ؟ فقال الصياد : كنت بالأمس صياداً ، وأراك اليوم منجمّاً ؛ أما علمت أن من كثرت صناعاته ، عظم فقره ، وساءت حاله ؟ !  
فقال جعفر : خذ الورقة بسرعة ، وأطلع أمير المؤمنين .

فأخذ الصياد ورقة من الكيس ، وهو يقول : هيهات أن يعود غلاماً لي ، ويصطاد معي ؛ خذ يا زمار هذه الورقة فأقرأها ولا تخف منها شيئاً . فقال الخليفة : خذ منه الورقة يا جعفر ، وأسمعه جميع ما فيها ، فنظر إليها ، ثم قال : يضرب الصياد مائة ضربة بالمصا ، فقال الخليفة : اضربه ولا تبطئوا ؛ فأخذوه في غير رحمة ولا شفقة ، وطرحوه أرضاً ، وضربه مائة عصا ؛ وكان كلما ألهمه الضرب صاح : واغوثاه يا رباه ! الغلام يأمر بضرب معلمه ! إن هذا مزاح ثقيل !

ولما ضرب قال : ما أتعس حظي هذا اليوم إن لم يكن ذلك مزاحاً من غلامي الزمار ! ثم قال جعفر : يا أمير المؤمنين ، قدّم هذا المسكين إلى بحر كركم ، ولا يرضيكم أن يعود عطشان ، فإذا أمر الخليفة أن يأخذ ورقة أخرى ، فلعله ينال بها شيئاً من المال يعينه في فقره ؟ !

فقال السيد : ألا تخشى أن يكون حظّه فيها القتل ، فتكون سبباً في هلاكه ؟

فقال جعفر : إن كان حظّه القتل فقد استراح .  
فقال الصياد : لا بشرك الله بالخير ، أضافت بغدادُ بخليفة الصياد ،  
حتى تطلبوا قتله ؟

فقال جعفر : استخّر الله وخذ ورقة ؛ فخذ يده وأخذ ورقة ؛ فلما ناولها  
جعفرًا قرأها في نفسه وسكت ؛ فقال الخليفة : ما أسكتك يا جعفر ؟  
فقال : قرأت بالورقة : لا يُعطى شيئاً .

فقال الرشيد : رُءُ يَفارقنا فليس له رزق عندنا .  
فقال جعفر : بحق آبائك أن تأمره يأخذ ورقة ثالثة ، فعسى أن نجد  
له فيها خيراً .

فأمر بأخذ الثالثة فوجدوا فيها : يُعطى الصيادُ ديناراً واحداً .  
فقال جعفر للصياد : أردنا لك السعادة والغنى ، ولكن الله لم يرد لك  
إلا هذا الدينار .

فقال الصياد : الحمد لله ، هذا خيرٌ كثير ، كل مائة ضربةٍ بالمصا بدينارٍ  
واحد ، لا أصحّ الله لك بدناً ، فضحك الخليفة وقال : أعطوه الدينارَ  
وخلّوا سبيله .

فلما وصل الصياد إلى الباب رآه صندل فناداه ؛ وقال له : أعطى شيئاً  
مما أعطاك أمير المؤمنين وهو يمزح معك .

فقال : أعطاني مائة ضربةٍ بالعصا وديناراً واحداً ، أما الضربُ فلا أستطيعُ قسمته ، وأما الدينارُ فهو حلٌّ لك ، ورماءُ في وجهه وخرجَ غاضباً ، فحزنَ صندلٌ من أجله ، وأمرَ العَلمانَ أن يرُدُّوه .

فلما رجع ناوله الدينارَ وكيساً به مائة دينار ؛ وقال : هذا ديناركُ الذي أخذته من الخليفة ، أما هذا الكيسُ وما فيه فهو ثمن ما اشتريته مِنكَ من السمك ؛ ففرحَ الصيادُ وخرجَ ناسياً ما أصابه من ضرب .

وبينا هو مارٌّ في طريقه إلى بيته بسوق الجوارى — وجدَ جمعاً من الناس يحيطون بشيخٍ قائمٍ ، أمامه صندوقٌ مُقفَلٌ ، وعليه خادمٌ ، والشيخُ ينادى : يا تُجَّارُ ، يا أربابَ الحظوظ والأموال ، هذا صندوقٌ مقفَلٌ من دارِ السيدة زبيدة زوج أمير المؤمنين . فتقدمَ تاجرٌ وقال : اشتريه بعشرين ديناراً ؛ وقال آخرٌ : بثلاثين ديناراً ؛ وهكذا حتى وصلَ ثمنه مائة دينار .

ثم جعل الشيخُ ينادى هلْ عندكم زيادة ؟ فقال خليفة الصياد : اشتريه بمائة دينار ودينار .

فقال الشيخُ بارك الله لك فيه ، فتسلمَ الصندوق ، ودفعَ الثمن ، ووقعت المعاقدة ، وتصدقَ الشيخُ بشمعه ، وهو لم يبرحْ مكانه ، ثم رجع وحكى للسيدة زبيدة ما حصل ، ففرحت واطمأنت .

أما الصياد فقد حملَ الصندوق على رأسه ، ومشى في تعبٍ وإعياء حتى دخل بيته .

ثم أخذ يُعالجُ فتحه فلم يَسْتَطِعْ ؛ فقال في نفسه : أينَ كانَ عقلي حينَ استريتُ هذا الصندوقَ بما أملكُ من دنانير ؟ وكيف أشتري شيئاً مجهولاً بهذا الثمن الباهظ من الدنانير ؟ !

وقام إلى الصندوقِ ثانيةً يعالجُ فتحه فلم يقدر ؛ وكان الليلُ قد أقبل فأرجأ فتحه إلى الصباح ، ونام فوق الصندوق ، وقبل أن يستغرقَ في نومه أحسَّ حركةً في الصندوق تحته ، فقام فرعاً وقال : ماذا في الصندوق ؟ أخشى أن يكون قد حوى عفاريت ، أحمدُ الله الذي ما جعلني أفتحُه في الظلام ولو فتحتُه لخرجوا منه ، وأهلكوني أو ضروني .

ثم نفَّختَه نسمةً من الأطمئنان ، وقال لعلها حركةٌ لا أثر لها ولا قيمة ولا تَمُ فوقه حتى الصباح .

ولكنه ما كاد يرقُدُ حتى سمع حركةً أقوى من الحركة الأولى وأطول ، فأيقن أن في الصندوق شيئاً يتحرك ، ولا بد أن يضيء البيت ويفتحه ؛ ولسكنه لم يجد عنده مصباحاً ، وليس معه نقودٌ يشتري بها مصباحاً ، فخرج إلى الحارة وصاح : يا أهل الحارة ! فانتبهوا على صياحه ، وسألوه : ما شأنك يا خليفة ؟ ! وما تريد ؟ ! فقال : أعطوني مصباحاً أضئ به داري ، فإن الجنَّ والعفاريتَ أزجوني ، وطرّدوا النّومَ عن جفوني ، فضحكوا من قوله وأعطوه المصباح .

فدخل إلى الصندوق وكسر فُقله ، فانفتح ، ووجد به جاريةً



كأنها القمر وضأةً وحُسناً ، وما كاد يخرجها من الصندوق حتى تقايات ،  
وأفاقت من غشيتها ، فقال :  
من أنت أيتها الجارية ؟

فقالت : ألسنتُ في قصر الخليفة هارون الرشيد ؟!

فقال : أنت في بيت خليفة الصياد الفقير الذي لا يملك شيئاً ، وما  
أنت إلا جارية ، اشتريتك بمائة دينار ودينار ، وكنت في هذا الصندوق  
وملأت على الدار خوفاً ورُعْباً قبل أن أفتحه ، ولكنى الآن قد سمعت  
حظى بوجودك .

فقالت : دعنا من هذا الكلام ، وأعطني شيئاً آكله ، فإنى أحسُّ  
جوعاً شديداً .

فقال : ليس عندي طعامٌ ، ولا شربة ماء : ولم أذق الزاد منذ يومين .  
فقالت : هل معك دراهم ؟

فقال : البركة في هذا الصندوق ، فقد دفعتُ جميع ما معى ثمناً له :  
وأصبحت بسببه فقيراً ، لا أملك قليلاً ولا كثيراً .

فضحكت الجارية ، وأمرته أن يسأل جيرانه شيئاً يأكله ، فقام إلى الحارة  
وصاح : يا أهل الحارة ! فأنبهوا وسألوه : مالك يا خليفة ؟ فقال : جوعان  
وأطلب شيئاً آكله : فأعطاه هذا رغيفاً ، وهذا قطعة جبن ، وهذا بعض  
القثاء والخيار : ووضع كل ذلك في حجره ، ودخل به إليها ، وحطه بين  
يديها ، وقال : كلّي حتى تشبعي ، فضحكت وقالت : أخشى أن أغصَّ

بلقمةٍ ، وليس عندك ماء فأموت ، فحملَ جرتَه ، وخرج إلى الحارة ، وصاح  
يا أهل الحارة ! فقالوا : ماذا جرى لك هذه الليلة يا خليفة ؟ ! فقال :  
أعطيتوني طعاماً فأكلتهُ ، وقد عطشت الآن وليس عندي ماء ؛ فنزل  
إليه كثيرٌ منهم ، هذا بقُلَّتِه ، وهذا بإبريقه ، فلا جرتَه ودخل بها إلى  
الجارية ، وقال : لم يبق لك حاجةٌ فكلّي واشربي ، وحدثني عن  
أمرك ، فقالت :

اجلس واستمع ؛ أنا قوت القلوب ، جارية هارون الرشيد ، وقد  
فعلتُ بي هذا زوجته السيدة زبيدة ، غيرةً مِنِّي ، لأنه كان يحبُّني حباً  
شديداً ، وذلك لتبعدني عن قصر الخلافة ، وتستريحَ مِنِّي ؛ وسيكون هذا  
سبباً في سَعَدِكَ وغناكَ ، من الخليفة هارون الرشيد .

فكان : أليس هو الرشيد الذي كنتُ محبوساً عنده ؟

فقالت : بلى .

فقال : ما أبخله ، وأقلَّ عقله !! لقد كنتُ عنده ، فضرِبني بالعصا  
مائة ضربة ، ومنحني ديناراً واحداً ، ولسكنَ صندلاً أحدَ عبيده رآني  
فأشفق بي ، وأعطاني ثمن السمك كيساً به مائة دينار ؛ اشتريت بها  
جميعها هذا الصندوق ؛ أما الرشيد فلم أتل على يديه إلا الأذى والضرر ،  
وقد علمته الصيد ، وشاركته ، فغَدَر بي وأذاني .

فقالت : دَعْ عنك هذا القول القاسي ، والترم الأدب في مخاطبة الملوك ،  
فإن اللسانَ أكثرُ إيلاًماً من السيف ، وستكونُ ، إن شاء الله ، مقرباً

عند الخليفة، مَوْفُورَ الحظوة لديه، غَارِقًا في مَعْرِوفِهِ وَكَرَمِهِ، وَأَوْصِيكَ  
أَلَّا تَتَكَلَّمَ إِلَّا بِالْقَوْلِ الْجَمِيلِ الَّذِي يُحِبُّكَ إِلَى النَّاسِ، وَلَا يُنْفَرُ أَحَدًا  
مِنْكَ؛ وَلَا تَخَاطَبِ الخليفة إِلَّا بِمَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ عِبَارَاتِ الْأَدَبِ وَالاحْتِرَامِ،  
فَإِنَّكَ بِهَذَا تَصِلُ إِلَى مَا تَرِيدُ.

فَقَالَ: شَكَرًا لَكَ وَسَمْعًا وَطَاعَةً؛ ثُمَّ نَامًا إِلَى الصَّبَاحِ.  
وَلَمَّا اسْتَيْقَظَا وَأَدْيَا فَرَضَ الصَّبِيحِ طَلَبَتْ مِنْهُ دَوَاءً وَقِرْطَاسًا، فَكَتَبَتْ  
إِلَى التَّاجِرِ ابْنِ الْقِرْنَاصِ، صَاحِبِ الخليفة، قِصَّتَهَا، وَأَنَّهَا الْآنَ عِنْدَ  
خليفة الصَّيَادِ، ثُمَّ قَالَتْ: اذْهَبْ إِلَى سُوقِ الْجَوَاهِرِ، واسْأَلْ عَنْ كَبِيرِ  
التَّجَارِ ابْنِ الْقِرْنَاصِ، وَنَاوِلْهُ هَذِهِ الْوَرْقَةَ وَلَا تَتَكَلَّمَ.

فَلَمَّا أَنَّهُ سَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ سَلَامَهُ فِي اخْتِقَارٍ، وَعَدَمِ حِفَاوَةٍ؛ فَنَاوَلَهُ  
الْوَرْقَةَ، فَأَخَذَهَا وَلَمْ يَقْرَأْهَا، وَأَمَرَ أَحَدَ غُلَامَانِهِ أَنْ يُعْطِيَهُ دِرْهَمًا، لِأَنَّهُ  
ظَنَّهُ سَائِلًا يُطَلَبُ مَعُونَةٌ، فَقَالَ الصَّيَادُ: لَا حَاجَةَ بِي إِلَى الْمَعُونَةِ وَالصَّدَقَةِ،  
وَلَكِنِّي جِئْتُ إِلَيْكَ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْوَرْقَةِ، فَاقْرَأْهَا،

فَلَمَّا قَرَأَهَا، وَعَرَفَ مَا فِيهَا، قَبَّلَهَا، وَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِهِ، وَنَهَضَ قَائِمًا  
وَقَالَ: أَيُّنَ بَيْتِكَ يَا أَخِي؟

فَقَالَ: وَمَا تَرِيدُ بَيْتِي؟ أَلَا تَرِيدُ أَنْ تَذْهَبَ إِلَيْهِ لِتَسْرِقَ مِنْهُ جَارِبَتِي؟  
فَقَالَ: لَا، وَلَكِنْ لِأَشْتَرِيَ لَكُمْ طَعَامًا، وَأُرْسِلَهُ إِلَى الْبَيْتِ.

فَقَالَ: الْبَيْتُ فِي حَارَةٍ...

فَأَمَرَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبِيدِهِ أَنْ يَأْخُذَا مَعَهُمَا الصَّيَادَ إِلَى مُحْسِنِ الصَّيْرِفِيِّ،

ويأمره أن يعطيه ألف دينار، ثم يرجع به إليه مُسرَّعين .

أخذ الصيَّاد الألف، ورجع مع العبدن إلى ابن القر ناص، فوجده راكباً بغلة قيمتها ألف دينار، ويحوارها بغلةً مثلها أعدّها لركوب الصياد بعد رجوعه؛ ولما ركبها الصياد جعل وجهه ناحية ذنبها، وأمسكه ففرت ورمته على الأرض ولكنّه لم يصب بضرب؛ فضحكوا وهنَّأوه بسلامته، وزكّه ابن القر ناص في السوق، وذهب مسرعاً إلى الخليفة وأخبره ما حصل لقوت القلوب، ثم رجع وتقلَّها إلى بيته .

#### ( ٤ )

ولما رجع الصيَّاد إلى بيته وجد أهل حارته مجتمعين، وكانوا من قبل يقولون : إنّ هذه الجارية ستكون سبب شقائه ونعته، لعلها من أقربائه، ربّما كانت هاربة من بيت سيدها، وربّما وجدّها بالأمس في غيبة سُكرٍ فحملها إلى بيته .

ولما رأوه قادمًا أقبلوا عليه، وقالوا : أما علمت ما جرى في بيتك ؟

فقال : لم أعلم شيئاً، وماذا جرى ؟

فقالوا : حضر هذه الساعة جماعةٌ من المالك فأخذوا جاريّك، ومضوا

بها إلى سبيلهم، وبحنوا عنك فلم يجدوك .

فقال واحدٌ منهم : ولو وجدوه لقتلوه .

فلم يلتفت إلى أحدٍ منهم، ولكنّه رجع مسرعاً إلى دكان ابن

القرناس ، فوجدَهُ رَاكِبًا بِنَلْتِهِ ، فقال له : ما كان يصحُّ أن ترسلَ عبيدَكَ إلى دارى ، فيخطفوا جاريتى التى اشتريتها بمالى .

فقال ابن القرناس ، تعالَ معى ، وسترى ما يسُرُّكَ ، وتستريح له ؛ وذهب به إلى داره ، وكانت نخمة البناء ، عليها أمارات العظمة والنقى ، انتصبت كالْفَخُورِ المعجب وسط حديقة ذات أشجارٍ وأفنان ، وورودٍ وأزهار ، تجرى من تحتها الأنهار ، وهناك وجدَ الجارية جالسةً على سرير من ذهب ، ومن حولها وتحت أمرها ، عشرُ جوارٍ كأنهن الحور العين . فقالت لابن القرناس : ماذا فعلتَ بسيدي الجديد الذى نقلتني من داره واشتراني بجميع ماله .

فقال : ها هو ذا ، وحكى لها قصته .

فقالت : إذا كنت قد أعطيتَه فى ألف دينارٍ ، فهذه ألف دينار أُخرى هبةً منى إليه ، إذ كان سببًا فى إنقاذى ودوام حياتى .

وبينما هم كذلك إذ أقبل رسولُ أمير المؤمنين يطأُ قوتَ القلوب أن تذهبَ إليه ، فلما كانت بينَ يديه فرحَ بها ، وسألها عن حالٍ من اشتراها . فقالت : إنه خليفةُ الصياد ، وله مع أمير المؤمنين حسابٌ فى شركة ، وهو واقفٌ الآن بالباب ؛ فأمر الرشيدُ بإحضاره بين يديه ، فلما جاء حيًّا فى أدبٍ ، ودعاه بدوام العزِّ والسعادة ، ثم سأله الخليفة :

هل كنتَ بالأمسَ شريكى ؟

فَقَالَ لَهُ الصَّيَّادُ : قِصَّتِي غَرِيبَةٌ ، وَسَيُسَرُّ لَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ أُذِنَ لِي بِقَوْلِهَا .

فَقَالَ : اقْصُصْ عَلَيْنَا مَا تَشَاءُ .

فَقَصَّ عَلَى الْخَلِيفَةِ مَا جَرَى لَهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ ، فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَخِلْعَةٍ مُلَوَكِيَّةٍ ، وَبَغْلَةٍ ، وَعَبِيدٍ يُخْدِمُونَهُ ؛ وَأَمَرَ لَهُ بِعَرْتَبٍ شَهْرِيٍّ مِقْدَارُهُ خَمْسُونَ دِينَارًا . وَجَعَلَهُ بِمَا أَفَاضَ عَلَيْهِ مِنْ مَالٍ مِنْ أَعْيَانِ الدَّوْلَةِ وَوَجَّهَهَا بِهَا ؛ وَقَالَ : إِنَّ مَا فُعِلَ بِالْجَارِيَةِ مِنْ تَذْيِيرِ السَّيِّدَةِ زَبِيدَةٌ . فَحَزَّ ذَلِكَ فِي نَفْسِ الْخَلِيفَةِ وَغَضِبَ عَلَيْهَا وَهَجَرَهَا مَدَّةً ؛ فَانْغَمَتْ لِذَلِكَ وَأَيَقَنَتْ أَنَّهَا أَخْطَأَتْ ، فَعَمِلَتْ تَتَفَكَّرُ فِي وَسِيلَةٍ تَسْمَحُ بِهَا غَضَبُ الْخَلِيفَةِ وَتَأْلُمُهَا مِنْهَا ، فَلَمْ تَجِدْ إِلَّا أَنْ تَكْتُبَ إِلَيْهِ مَعْرُوفَةً بِذَنْبِهَا ، مَعْتَذِرَةً تَائِبَةً ، تَرْجُو مِنْهُ الْعَفْوَ وَالْمَغْفِرَةَ ؛ فَلَمَّا لَمَحَ فِي كِتَابِهَا تَوْبَةً خَالِصَةً قَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ؛ وَبَلَغَهَا أَنَّهُ قَبِلَ عُذْرَهَا وَرَجَّاهَا ، وَعَفَا عَنْهَا ، فَفَرِحَتْ بِذَلِكَ فَرَحًا عَظِيمًا .

وَبَيْنَمَا خَلِيفَةُ الصَّيَّادِ خَارِجٌ رَأَاهُ الْمَمْلُوكُ صَنْدَلٌ ، فَسَأَلَهُ : مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الْخَيْرُ الْكَثِيرُ ؟

فَقَالَ : مِنْ فَضْلِ الْخَلِيفَةِ .

فَقَالَ : أَلَا تَهَبُ لِي شَيْئًا مِنْهُ ؟

فَدَّيَّ يَدَهُ إِلَيْهِ بِكَيْسٍ فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ ، فَقَالَ الْعَبْدُ : شَكَرًا لَكَ وَقَدْ رَدَدْتُكَ إِلَيْكَ تَقْدِيرًا لِمَرْوَتِكَ وَكَرَمِكَ وَكَرِيمِ خُلُوعِكَ .

ولمّا دخل الصيَّادُ سُوقَ المدينة راكباً بَغْلَتَه ، لابساً خلعتَه الملوكة ،  
ومن حوله العبيد والغلمان — يَحْبِبُ الناسُ من حاله ، وسألوهُ عن أمرِ  
الجديد ، فحكى لهم قصته ، ثم اشترى له داراً كانت لأحدِ الأغنياء  
المترفين ، وأنفقَ في تجميلها ما جعلها عروساً بين الدور والقصور ؛ فأقام فيها  
وجعل يزورُ الخليفة من حينٍ إلى حين ، والخليفة يشمله بفضله ومحبته ،  
وما زال يتقلبُ هو وزوجه في نعمةٍ من العيشِ ورخائه ، حتّى جاءهم أمرُ  
الله المحتوم ، وسبحان الحىِّ الدائمِ القيوم ١٠







## التاجرُ والعِفريتُ

زعموا أن تاجرًا مدَّ عليه السمُّ ظلَّ الوارفَ ، فكثُرَ ماله ، وآسَقَ حاله ، وكان كثيرًا ما يضربُ في الأرضِ ، يبتغي بتجارته فضلَ الله ورزقَهُ .

وذات يومٍ ركب دابَّته ، وغادَرَ بلدته ، إلى بلدٍ آخرَ ، له فيه مطابٌ ، كابتياحٍ أو اعتياضٍ أو غيرهما ، ولما أجهدهُ السيرُ ، ونالَ منه سُعارُ الهجيرِ ، رأى في سبيله شجرةً مُنْزَلةً ، فأَمَّها وخطَّ الخرجَ عن ظهرِ دابَّته ، وجلسَ تحتها ليأخذَ جِمامه ، وينشِقَ نَسِيمَ الراحةِ ، ثم يستأنِفَ مسيرَه ، وكان قد أحسَّ جوعًا ، فأخرجَ ثمرةً من خرجه وأكلها ، وألقى على الأرضِ نواتها ، وإذا بعِفريتٍ من الجنِّ قدَّامه ،

يرسلُ من عينيه شواظاً من نار ، ويبيده سيف تتقاطرُ سكينَةُ الموتِ  
من حَده ، وامتدَّ العفريتُ في نظر التاجرِ طولا وعرضا ، ثم انحنى  
عليه قائلاً :

لقد حقَّ عليك عاجلُ الفناء ، بما قتلتَ ولدى ظلما وعُدوانا .

فانزوى التاجرُ في نفسه خوفاً ورُعبا وقال :

لم أَتَرَفْ جَرِيمةَ قتلٍ في حياتي ، وَأَبْغَضُ شَيْءٍ إِلَى القتلِ ظُلما ، وما  
فعلتُ الآنَ شيئا ، ولكنِّي أَكَلْتُ ثَمرةً ، فكيفَ قَتَلْتُ ابْنَكَ ؟

فقال العفريت :

أَلْقَيْتَ نَواةَ الثمرة على الأرضِ بِقُوَّةٍ ، فجاءتُ في صدرِ ابْنِ فَقُضِيَ  
عليه ، وقد كَتَبَ العدلُ بينَ الناسِ أَنَّ النفسَ بالنفسِ ، والعَيْنَ بِالْعَيْنِ ،  
وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ ، وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ ، وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ .  
فقال التاجر : ولكنِّي ما رأيته ، وما قصدتُ قتلَه .

فقال العفريت : ولكنك تعلمُ أَنَّ مِنْ حَوْلِكَ خَلْقًا لَا تَرَاهُمْ وَهُمْ  
يَرُونَكَ ، وَأَنْتَ قَدْ أَلْقَيْتَ النَواةَ بِقُوَّةٍ ، وَكُنْتَ قَادِرًا عَلَى أَنْ تَضَعَهَا  
بِجَانِبِكَ أَوْ أَمَامَكَ ، فَسَكَنَ التاجرُ سَكُونَ الْمَاءِ الْعَمِيقِ ثُمَّ قَالَ :

وما دُمْتُ قد ذَكَرْتَ العدلَ وَوَدِدْتُ تَنْفِيزَه ، فَإِنِّي أَعْصِمُ بِهِ  
أَيْضًا ، وَأَطْلُبُ إِلَيْكَ بِحُكْمِ العدلِ حَاجَةً .

فقال العفريت : وما هي ؟

فقال : إِنِّي تاجرٌ ذُو مَالٍ كَثِيرٍ لَدَى حُرَفَائِي وَمَنْ يُعَامِلُونِي ،



وَلَعَيَّرِي مِنَ الْمَالِ عِنْدِي مِثْلَ مَا لِي عِنْدَ غَيْرِهِمْ ، وَلِي زَوْجَةٌ وَأَوْلَادٌ ،  
فَدَعَنِي أَرْجِعْ إِلَى بَيْتِي ، لِأَكْتُبَ وَصِيَّتِي بَيْنَ أَهْلِي ، وَأُرَدِّدَ الْحَقَّ إِلَى  
أَهْلِهِ ، وَأَعْطِيَ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، وَلَكَ عَلَى عَهْدِ الصَّادِقِينَ أَنْ أَعُودَ  
إِلَيْكَ فِي هَذَا الْمَسْكَنِ ، فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ مِنَ السَّنَةِ الْمُقْبِلَةِ ، لِتَفْعَلَ بِي  
مَا تُرِيدُ ، فَأَخَذَ الْغَفِيرَتُ عَلَيْهِ مِثْلَافَهُ ، وَخَلَّى سَبِيلَهُ .

انْقَلَبَ التَّاجِرُ إِلَى أَهْلِهِ ، وَالْهَمُّ يُعْتَلِجُ فِي صَدْرِهِ ، وَقَصَّ عَلَيْهِمْ  
مَا جَرَى لَهُ ، فَانْكَفَأَ لَوْنُ الْحَيَاةِ فِيهِمْ ، وَحَالَفَهُمْ حُزْنٌ عَمِيمٌ أَبَاسَهُمْ ، بَمَا  
وَجَدُوا مِنْ إِصْرَارِ التَّاجِرِ - وَهُوَ مُشْرِقُ سَعَادَتِهِمْ ، وَأَحْبَبُ النَّاسِ إِلَى  
نَفْسِهِمْ - عَلَى الْوَفَاءِ بِمَا عَاهَدَ الْغَفِيرَتَ عَلَيْهِ .

وَفِي الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ، اجْتَمَعَ بِهِ أَهْلُهُ وَذُرُوءُهُ ، وَودَّعُوهُ فِي عَاصِفَةٍ مِنْ  
أَوَاحٍ وَبُكَاءٍ ، وَحَمَلَ كَفَنَهُ ، وَرَكِبَ سَمَتَهُ ، إِلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ الْمَعْرُوفَةِ ،  
وَهُنَاكَ جَلَسَ تَحْتَهَا فِي كَأَبَةٍ وَحَسْرَةٍ ، مُسَالِمًا إِلَى اللَّهِ أَمْرَهُ ، رَاجِيًا أَنْ  
يَرْعَاهُ وَيَحْفَظَهُ .

وَمَا لَبِثَ قَلِيلًا حَتَّى أَقْبَلَ عَلَيْهِ شَيْخٌ كَبِيرٌ مُمَسِّكٌ زِمَامَ غَزَالَةٍ يُجْرِهَا  
مِنْ خَلْفِهِ ، فَسَلَّمَ وَجَلَسَ ، ثُمَّ قَالَ :

لَعَلَّكَ أَوَيْتَ إِلَى كَنْفِ الشَّجَرَةِ لِلرَّاحَةِ ؟

فَقَالَ : وَمَنْ فِي الدُّنْيَا مُسْتَرِيحٌ ؟ لِكُلِّ أَمْرٍ فِيهَا شَأْنٌ يُغْنِيهِ ،  
وَنَسَّأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ .

فَقَالَ الشَّيْخُ : وَمَا شَغْلُكَ الْآنَ ؟

فقال : ما يشغلُ كلَّ حيٍّ في دنياه ، ويبدلُ النفيسَ دونه .  
فقال الشيخ : لعلّى واجدٌ عندك رغبةً في أن تطلعنّى عليه ، فمضى أن  
أن يكونَ لدىَّ من العونِ ما ينقُصُ عنك كُربته ؟  
فقصّ التاجرُ عليه قصته فأكبرَ الشيخَ دينَ التاجرِ ووفاءه وقال :  
لا أبرحُ عنك حتى أرى حكمَ القدرِ فيك ، وأنتَ على ما أرى من  
الدينِ والتقوى .

وبينما هما يخوضان في مذاهبِ الحديثِ وفنونه ، إذ جاءها شيخٌ ثانٍ ،  
يقودُ كابتين سوداوين ، خجياً وانتظم في مجلسهما ، ثم قال :  
لأمرٍ ما جلستما في تلكَ البقعة ، وهى مأوى الغفاريّ والمردة ؟ !  
ولما أخبراه الأمرَ عجبَ وقال :  
ولن أزيلَ هذا المكانَ حتى أقفَ على مصيرِ ذلكَ التاجرِ المسكينِ ،  
وأعرفَ آخرَ صدقهِ ووفائِهِ .

وبعد فترةٍ غير طويّلة ، جاءهم شيخٌ ثالثٌ ، ومعه بغلةٌ في ربيعِ حياتها ،  
فانخرطَ معهم بعد أن حياهم ، وعرفَ قصةَ التاجرِ منهم ، وأصرَّ على أنْ  
يلبثَ فيهم حتى يرى ما سيكون .

وافًّ الأربعة سكونٌ عميقٌ ، بعثهم من مرقده رؤيةٌ غبرةٍ كشيقةٍ ،  
تدنو منهم سريعاً ، وانكشفَ حالكُها عن ذلكَ المفريت الذى جاءهم  
بسيفه ، ليقصَّ من التاجرِ ويثأرَ لابنه ، وما أسرعَ أن جذبهُ بِشِمَالِهِ ، من  
بين أصحابهِ ، وقال :

لقد كنتُ أرتقبُ يومكَ هذِ بصبرٍ ثَقِيلٍ ، وهَمٍّ عَظِيمٍ ، ففُتِمَ لِأَفْصَلَ  
بِسُفَى هَذَا رَأْسِكَ عَنْ جِسْمِكَ جَزَاءٌ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ مِنْ قَتْلِ ابْنِي ظَالِمًا .  
فَضَجَّ الشَّيْخُ الثَّلَاثَةَ ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ صَاحِبُ الْغَزَالَةِ ، وَقَبَّلَ يَدَهُ  
وَقَالَ :

أَيُّهَا الْعَفْرِيتُ الْعَظِيمُ ، أَتَهَبُ لِي ثَلَاثَ دُمُ هَذَا التَّاجِرِ إِنْ أَنَا قِصَصْتُ  
عَلَيْكَ قِصَّةَ عَجِيبَةٍ ؟

وَكَانَ هَذَا الْعَفْرِيتُ مُشْفُوفًا بِالْوُقُوفِ عَلَى عَجَائِبِ الْحَيَاةِ وَغَرِيبِهَا —  
فَأَلْفَى هَذَا الرَّجَاءُ هَوًى عِنْدَهُ ، وَجَلَسَ عَلَى رَغْبَةٍ يَسْتَمِعُ لِقِصَّتِهِ ، وَاعْدَأَّ  
إِيَّاهُ أَنْ يَجِيبَ طَلِبَتَهُ ، إِنْ وَقَعَتْ مَوْقِعَ الْعَجَبِ مِنْ نَفْسِهِ .

قَالَ الشَّيْخُ : هَذِهِ الْغَزَالَةُ الَّتِي تَرَاهَا ابْنَةُ عَمِّي تَزَوَّجَتْهَا عَنْ حُبِّ صَادِقَةٍ ،  
ازْدَهَرَتْ بِهَا حَيَاتُنَا الزَّوْجِيَّةُ ، وَلَبِثْتُ مَعَهَا ثَلَاثِينَ سَنَةً ، لَمْ تُرْزَقْ فِيهَا  
بِابْنَةٍ أَوْ وَلَدٍ ، ثُمَّ وَقَعْتُ لِي فِي بَعْضِ الْبِلَادِ الَّتِي أُغْتَمِرُهَا ، جَارِيَةٌ مُشْرِقَةٌ  
الْوَجْهَ ، وَضَاءَةُ الْجَبِينِ ، يَنْمُو دَلْهُمَا عَنْ دَيْنٍ طَاهِرٍ يَجْرِي فِي قَلْبِهَا ، وَيَسْعَى  
مِنْ مَسَامٍ جِسْمِهَا ، فَاشْتَرَيْتُهَا وَجِئْتُ إِلَى بَيْتِي بِهَا ، وَبَعْدَ سَنَةٍ مِنْ  
مَقَامِهَا رَزَقْتُ مِنْهَا بَوْلَدٍ ، كَانَ قُرَّةَ الْعَيْنِ ، وَثَمَرَةَ الْحَيَاةِ ، فَجَعَلَ يَتَقَلَّبُ  
عَلَى مَهَادِ النِّعْمَةِ ، بَيْنَ يَدَيِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ ، حَتَّى زَكَ عَوْدُهُ ، وَاسْتَوَى جَمَالُهُ ،  
وَبَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً .

ثُمَّ سَافَرْتُ إِلَى إِحْدَى الْمَدَنِ ، وَمَعِيَ بِضَاعَتِي الَّتِي أُتَجَرُّ فِيهَا ، تَارِكًا  
بَيْتِي وَفِيهِ ابْنِي رَجَاءَ الْمُسْتَقْبَلِ ، وَعَمْرَى الْمَحْدُودِ ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْ أَجْلِهِ

السُّعَى والحياة ، وكانت ابنة عمى هذه على معرفة واسعة بالسحر والكهانة ، فاتهمت غيبتى ، وبدلت ابنى بسحرها عجلاً ، كما بدلت أمه بقرة ، وأسلمتهما إلى الراعى ، وهو لا يعلم من أمرهما شيئاً ، ولما حضرت بعد غيبتى الطويلة ، لم أجدهما قد حضرا لاستقبالى وتهنئتى بسلامة عودتى ، فسألت عنهما ابنة عمى ، فقالت : أما جاريك فقد ماتت ، وأما ابنك فلم يُطق صبراً على فراق أمه ، فخرج ولم يمد ، ولا ندرى له مذهباً ولا مكاناً ، ولما كنت لا أستريح فى خبرها انقلب البيت فى نفسى وحشة ، وفى عيني ظلمة ، وخفق قلبى ألماً وحسرة ، وضعت إلى الله أن يلهمنى الصبر ، ويدفع عني كل بلاء وضر .

ولما جاء عيد الضحايا أمرت الراعى أن يحضر بقرة ، لأذبحها ضحية ، أتقرب بها إلى الله ، وأنفس بلحمها عن الفقراء صنك الفقر وكرهه ، فجاءنى ببقرة سمينة ، وكانت البقرة جاريتى التى بدلت خلقتها بالسحر ابنة عمى ، ولما هممت بها أن أذبحها ، خارت خواراً غريباً ، لم أعهد من قبل فى بقرة ، وأحسست من نفسى صداً عن مباشرة ذبحها ، فوكلت أمرها إلى الراعى ، ولما ذبحها لم يجد فيها إلا عظماً وجلداً ، فأصابنى من الألم لذبحها ما أصابنى ، وأمرته أن يأتى بعجل سمين ، فجاء بولدى المسحور ، فآرائنى حتى فاضت عيناه دموعاً ، وألقى يحسمه أمامى ، فى ضراعة المستغيث ، ومذلة الراجى ، فأخذتنى الشفقة به ، وأمرت الراعى أن يبقيه ، ويعرض عن ذبحه ، وألحت ابنة عمى على أن أذبحه ، فلم يجد

إلحاحها في نفسى شيئاً ، وعكفتُ في بيتي ، أتقلبُ على فراشي من الحيرةِ  
والدهشة ، حتى صباح اليوم التالي .

وبينا أنا جالس في بيتي ، متلفعُ بفضل دهشتي ، إذ أقبل الراعي خيئاً  
وقال : جئتُك نبأً يسركَ ، ولَى البُشرى عندك ، فقلت : لك ما تشاء ،  
إن صرف عني نبؤك ما أقاسيه من بلاء ؛ فقال : لى بنتٌ تعلمت السحرَ في  
صِغرها من جدتها لأبها ، ولما دخلتُ أمس بالعجل عليها غطت وجهها ،  
وبكتُ ثم ضحكتُ وقالت : أَمَهْن قَدْرِي عندك يا أبني ، فتُدْخِلَ عليَّ  
الأجانبَ من الرجال ، يَظْهَرُونَ على عوارتنا ؟ فقلت لها : وأين الرجالُ  
يا بنبتي ؟ فقالت : ذلك الذى تمسكُ زمامه بيدك ، وتجره من خليفك ،  
فقلتُ : وكيف كان ذلك ؟ فقالت إن العجل الذى معك ، ابنُ التاجرِ  
سيدك ، مسختهُ زوج أبيه بسحرها عَجَلًا ، كما مسختُ أمه بقرة ، وذلك  
ما أضحكنى ، أما الذى أبكاني فذبحكُ أمه يومَ العيد ؛ وقد عجبتُ إليك  
بهذه البشرى .

لم أُطِقْ صبراً ونهضتُ فَرِحًا إلى دارِ الراعى ، لأستوثق من ابنته ،  
وهناك أكدتُ أنَّ هذا العجلَ ابني ، وأنها تستطيعُ إرجاعه بشرًا  
سويًا ، فقلت : ولكِ إن فعلتِ هذا ما تحت يد أهلكِ لى من مالٍ ،  
فقالت : وعلى أن تزوجنى به ، وأن أسحرَ ابنة عمك فأمسحها غزاله ،  
حتى آمنَ من شرها وكيدها ، فقلت : وَلَكِ ذلك ومعه عظيمُ شكرى .

قامت ابنةُ الراعى وأحضرتُ وعاءَ به قليلٌ من الماء ، وقرأتُ عليه





ما شاءت ، ثم رشت العجلَ به قائلة : إن كنتَ خلقتَ عجلاً فمُدْ على حالِكَ ، وإن كنتَ مسحوراً فمُدْ كما كنتَ بشراً سويّاً ، بإذنِ الله تعالى ؛ فانفض العجلُ إنساناً في خَلْقِهِ القويم ، وصورته الأولى ، فضممتهُ إلى صدرى ، وأجلستهُ بجانبى ، وطلبتُ إليه أن يحكى لى ما جرى له ولأُمِّه في غَيْبَتِي فَقَصَّ عَلَى ما سمعتهُ منى ، وقد زوجته ابنة الراعى ، ومسختُ هى ابنة عمى غزالةً ، وهى التى تراها الآن . وقد وقينا كيدها وشرها بسجِّها ، ولأنها ابنةُ عمى ، وكانت زوجى ، فازلتُ بها رءوفاً ، ولها وِفاءً كريماً ، فلا أفرقُها فى مغداى وتراحى ، حتى يوافيها أجلُها ، وهذه قصةُ الغزالةِ ، ولعلها وقعتْ موقعَ العجبِ من نفسك ؛ فقال العفريت : وقد وهبتُ لك ثلثَ دمِ التاجر .

وتقدم الشيخُ الثانى ، فقبَّلَ يدَ العفريت ، ورجا منه أن يَمُنَّ عليه كما منَّ على صاحبِ الغزالة من قبل ، فيمنحه ثلثَ دمِ التاجرِ إن سردَ قصةً لا تقلُّ فى غرابتها عن قصةِ الغزالةِ ، فقال العفريت : لا مانعَ لى من أن أمنحك ما طلبتَ ، إن وجدتُ فى قصتك غرابةً ومُتعةً ، فقال الشيخ : توفى أبى عنى وعن أخوين شقيقين ، وورثنا ثلاثة آلاف دينار ، نَحْذِناها منبَعِ كسبٍ وريح ، بالعمل بها فى التجارة ، وكان لسكِّلٍ مِنَّا دكانٌ فى المدينة ، يبيع فيه بضائمه ، فيدرُّ عليه ربحاً وفيراً يَغْنمه ، ويزيد رأسَ مالِهِ .

ولكنَّ أخوىَّ لم يَقمَا بذلك ، فقادهم الطمع فى ربحٍ أكثر ، إلى

أن يذهبوا ببيضائهم إلى أسواق البلاد والمدن القريبة والبعيدة، وكثيراً ما كانوا يرجعون منها بخفي خفين، فيجدان من عطفي عليهما وإمدادهما بمال، ما يكفل لهما الاستمرار في تجارتها، وصلاح حالها، مادامتا مقيمين في المدينة.

وذات مرة أغرياني بالسفر معهما، حتى نزلت على رأيهما وإشفاقاً ورحمة، ولكنني أشرت عليهما أن تقسم أموالنا قسمين متساويين، قسم تأخذه معنا وقسم ندفعه في بيت من بيوتنا، ليكون مدداً لنا وعوناً، إذا أخفق مسعانا، وكتب الضياع على ما في أيدينا من الأموال؛ فرضياً بذلك ونفذناه.

رزمنا بضائع بثلاثة آلاف دينار، وأودعناها مركباً، أقلنا إلى مدينة عامره، نفقت فيها سوق بضاعتنا، فبعناها وربحنا ربحاً وفيراً، وأخذنا في العودة إلى مدينتنا.

وبينا نحن على شاطئ البحر في انتظار المركب، إذ أقبلت على جارية تلبس خُلُقاً بالية ويدل شكلها على بُوسها، وحاجتها إلى الرفق والمعونة، فقالت:

يا سيدي، ألا أجدُ عندك من الإحسان ما أجزيك به؟

فقلت: لذي من الإحسان ما تشائين، ولا أريدُ منك جزاء ولا سُكورا.

فقالت: لا يزهديك في ما تراني عليه من بؤس وفاقة، فإنني أحفظ

الجميل وأردّه إلى صاحبه أضعافاً مضاعفة ، خفق قلبي من أجلها ، خفقان  
محبةٍ لها ، وعطفٍ عليها ، وقالت :

أبينى عن مقصديك ، فلكِ عندي ما نطلبين .

فقالت . أن تزوجني وأصحبك إلى بلدك ، وقد وهبتُ لك نفسي على  
مشهدٍ من هذين الرجلين — وأشارت إلى أخوى — فقبلتُ منها قولها ،  
ولبيتُ رغبتهما ، وبدلتُ حالها من بؤسٍ إلى نعيم ، ومن ذلّةٍ إلى عزةٍ ،  
وعنيتُ بها ونحن في المركب عناية عظيمة .

فدبّ ديبُ الحسدِ في قلبِ أخوى ، وطمعاً في مالى وزوجتى ،  
وزيّنَ لهما الشيطان قتلى .

وبينا أنا نائمٌ في المركب بجوار زوجى ، أفبلاً على ، وحملانى في  
رفق ، ورميانى في البحر ، فأحسستُ ذلك زوجى ، فهبتُ من نومها منزعجةً ،  
وانقلبتُ في الحال جنّيةً ، وحملتى في الحال إلى جزيرة ، وألبستنى ملابس  
أخرى جافة نظيفة ، وقالت :

أنا زوجك التى أحسنتَ إلىّ وتزوجتني ، رماك أخواك في البحر  
وأنت نعيم ، ليقْتُلَكَ طمعاً في مالك ، وقد نجيتُكَ من العرق جزاءً بما  
قدّمتَ يداك من إحسان ، وأنا جنّيةٌ مؤمنةٌ بالله ورسوله ، وقد عزمتُ  
على قتلِهما ، بما اجترحا من سيئة القتل المنسكرة .

فقلت : ولكنهما أخواى ، ويحزنُنّى أن أراهما في مكروه ، مهما



يَكُنْ مِنْهُمَا لِي مِنْ إِسَاءَةٍ ، وَالْمُؤْمِنُ مِنْ جَزَى الْمُحْسِنِ بِإِحْسَانِهِ ، وَوَكَلِ  
الْمُسِيءَ إِلَى رَبِّهِ .

فَقَالَتْ : مَا دُمْتُ كَارِهًا قَتَلَهُمَا فَسَأْتُ رَكُوعًا مِنْ أَجْلِكَ ، ثُمَّ حَمَلْتَنِي إِلَى  
دَارِي ، فَأَخْرَجْتُنِي مَا كُنْتُ قَدْ دَفَنْتُهُ فِيهَا مِنَ الْمَالِ ، وَابْتَعْتُ بِهِ إِصْطَاعًا  
وَضَعْتُهَا فِي دِكَانِي ، لِأَتَبَجَرَ فِيهَا كَمَا كُنْتُ مِنْ قَبْلُ .

وَلَمَّا أُدْبِرَ النَّهَارُ وَعُدْتُ إِلَى دَارِي ، وَجَدْتُ هَذَيْنِ الْكَلْبَيْنِ مَرْبُوطَيْنِ  
فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا ، فَلَمَّا رَأَيْتَنِي تَلَهَّفَا عَلَيَّ وَبَكَيَا بَكَاءَ يَشْقِ الْمُرَائِرَ ، فَأُسْرَعْتُ  
إِلَى زَوْجِي وَقَالَتْ :

هَذَانِ الْكَلْبَانِ أَخَوَاكَ ، اللَّذَانِ خَانَاكَ ، وَأَلْقِيَاكَ فِي الْبَحْرِ لِتَغْرَقَ  
وَتَهْلِكَ ، ذَهَبْتُ إِلَى أُخْتِي ، وَقَصَصْتُ عَلَيْهَا خِيَاثَتَهُمَا وَسُوءَ فِعْلَتُهُمَا ،  
فَسَخَّطَتْهُمَا بِالسَّحَرِ كَلْبَيْنِ ، عَلَى الْأَلَّامِ يَعُودَا إِلَى صُورَتِهِمَا الْأُولَى إِلَّا بَعْدَ  
عَشْرِ سَنِينَ ، وَلَمَّا انْتَهَتْ الْمُدَّةُ — يَا سَيِّدِي الْعَفْرِيَّتُ — أَخَذْتُهُمَا إِلَى  
أُخْتِ زَوْجَتِي ، لِتُعِيدَهُمَا سَيَرَتَهُمَا الْأُولَى ، فَوَجَدْتُ وَأَنَا سَائِرُ ذَلِكَ التَّاجِرِ  
وَهَذَا الشَّيْخِ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، فَسَأَلْتُ عَنْهُمَا وَجَلَسْتُ قَلِيلًا ، وَلَمَّا  
عَرَفْتُ مِنْهُمَا أَمْرَ التَّاجِرِ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَمْكُثَ مَعَهُمَا حَتَّى أَقِفَ عَلَى  
مَصِيرِهِ ؛ فَقَالَ الْعَفْرِيَّتُ : وَأَرَى أَيْضًا فِي قِصَّتِكَ غَرَابَةً ، وَلِهَذَا وَهَبْتُ  
لَكَ ثَلَاثَ دِمَاهٍ .

وَأَقْبَلَ الشَّيْخُ الثَّلَاثُ عَلَى الْعَفْرِيَّتِ وَقَبَّلَ يَدَهُ ، وَقَالَ : أَرْجُو أَنْ  
فَقَصْتُ عَلَيْكَ مَا هُوَ أَعْجَبُ وَأَغْرَبُ ، أَنْ تَهْبِ لِي الْبَقِيَّةَ الْبَاقِيَةَ مِنْ دِمَاهِ ،

فقال : هاتِ ما عندك والحكمُ بعد أن نسمع . فقال الشيخ : تزوجتُ من فتاة ساحرة القوام ، فأنته الجمال ، وعاشت بها بالمعروف والحسنى ، فلم تجد مِنِّي إلا حباً وإخلاصاً ، وبراً ووفاء ، وقد اطمأنتُ إليها ، فلم أسترب في سلوكها

وفي يوم دخلتُ عليها الدَّارَ في وقتٍ لم تكن تتوقعُ يجيئ فيه ، فألقيتُ معها في الدار عبداً أسود ، وتلك حالُ تبعت في النفس الشبهة والظنة ، فلمحت في عيني سوء ظن بها ، وأنى محاسنها على فعلتها ، التي أمارت في جوانب نفسى الظنون بها ، وكانت في السحر ماهرة ، فأحببتُ أن تخلص من هذه الورطة ، وتُفبر في مهدها تلك الفعلة ، فرشتني بماء كانت قد أعدته ، وقالت : تبدلُ أيها الزوجُ الماكرُ من إنسان إلى كلب مَهين ، ثم أوجمتني ضرباً بالعصا ، وطردتني من بيتي على أسوأ حال .

خرجتُ من بيتي كلباً أقتاتُ من الجيف والقيامات ، حتى وقفتُ أمام جَزَار ، وجعلتُ أرقيبُ ما يُلقيه من عظمٍ ونحوه فألتقمه ، في مسكنةٍ ومذلة ، ولحمتُ من الجزارِ إشفافاً بي وعطفاً عليَّ ، فعكفت يومى رابضاً أمامه ، ولما انتهى من عمله ، أخذني معه إلى بيته ، وما كادتُ ترانى بنْتُه ، حتى عرفتُ أمرى على حقيقته ، إذ كانت في السحر بارعةً . فقلتُ لآبيها : لقد أحسنتَ حيثُ لا تقصِدُ الإحسانَ ولا تدريه ، وجرى الخير على يَدَيْك ولم تكنُ تهتغيه .

فقال : وكيف كان ذلك يا بنيَّتى ؟ !

فقالت : ذلك الكلبُ الذي جئت به رجلٌ مسحورٌ ، ويغلبُ على ظني أن زوجته هي التي سحرته لأمر في نفسها ، وإنى لقادرةٌ على أن أعيده إنساناً ، لتعرفَ منه صدق ما أقول ، فقال : ولكِ المثوبةُ العظمى ، والحزاءُ الأوفى : فأحضرتُ قليلاً من الماء ، وجعلتُ تمرُّ بإصبعيها في نواحيه وتقرأ ما تقرأ ، ثم رشنتني به ، فانقلبَت إنساناً بقدرة الله تعالى ، وأقبلت عليهما حامداً شاكراً ، وقصصتُ عليهما قصتي ، ثم رجوت ابنةَ الجزار أن تساعدني على مسح زوجتي بـغلة . فأعطتني وعاءً به قليل من الماء وقالت انضح جسمها بهذا الماء وهي نائمة ، وأنت تقول : كوني بـغلة يادن الله تعالى .

خرجتُ من بينِ الجزار فرحاً ، واتهمت فرصةً تكون فيها زوجتي نائمة ، ونفذت ما أشارت به علي ابنة الجزار . فصارت بـغلةً بقدرة الله تعالى وهي البـغلة التي معي الآن : فالتفت العفريتُ إليها قائلاً : أصحيح ما قال ذلك الشيخُ ؟ فطامنت برأسها إشارةً إلى أنه حقٌ ما قال ؛ فعجبت العفريت ووهب له البقيةَ الباقيةَ من دمه ، وخلّى سبيلهم ، وذهب كلُّ إلى شأنه .

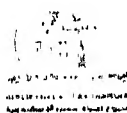
ورجعَ التاجرُ إلى أهله مسروراً ، فاستقبلوه فرحين ، وقصَّ عليهم ما جرى له ، فعلموا أن الله يدافعُ عن المؤمنين ، والصالحين من عباده .



١٩٩١ / ٣٤٤٧	رقم الإيداع
ISBN	977-02-3239-4 الترقيم الدولي

١ / ٩٠ / ١٧٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)



General Organization of the Alexandria Library (CAL)

*Bibliotheca Alexandrina*



# الفيلفوليلف

هذه طبعة جديدة من هذه المجموعة التي تنتمى إلى التراث  
الشعبى .. والتي نالت إهتماماً عالمياً فى الشرق والغرب ..  
وترجمت إلى كل لغات العالم ..

وتمتاز هذه الطبعة بحسن الصياغة التي تناسب عقول  
الشباب والناشئة .. وتخلو من الشوائب التي توجد فى طبعات  
كثيرة ..

إنها واحدة من عيون التراث الذى تحرص دار المعارف على  
تقديمه إلى القارئ العزيز ..

## صدر منها:

- |                       |                                   |
|-----------------------|-----------------------------------|
| ١ - شهر زاد ودنيا زاد | ٧ - عبدالله البرى وعبدالله البحرى |
| ٢ - السندباد البحرى   | ٨ - أبو الحسن وجاريته تودد        |
| ٣ - قمر الزمان        | ٩ - الحصان المسحور                |
| ٤ - الصياد والمفريت   | ١٠ - على بن بكار وشمس النهار      |
| ٥ - معروف الإسكافى    | ١١ - على الزئبق ودليلة المحتالة   |
| ٦ - الأحذب والخياط    | ١٢ - علاء الدين والمصباح العجيب   |
|                       | ١٣ - على بابا                     |



دارالمعارف